مختصر

سبيل الهدى والرشاد

في

بيان حقيقة توحيد رب العباد

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

مكتبة الفرقان

عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر

سبيل الهدى والرشاد

في

بيان حقيقة توحيد رب العباد

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



مكتبة الفرقان

الإمارات العربية المتحدة - عجمان - ص.ب: ٢٠٢٨٨
هاتف: ٧٤٤٤٤٣٥ / ٩٧١٦.. فاكس: ٧٤٢٤٠٩٤
فرع الشارقة: هاتف وفاكس: ٥٦٢٦٣٣٦/٩٧١٦..
فرع مصر: القاهرة - عين شمس - هاتف: ٠١٠٥٦١٨١٧٩
موقع المكتبة على شبكة الإنترنت: www.furqanalsalafia.com

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ....

فهذا كتاب اختصرت فيه كتابي ، سبيل الهدى والرشاد في بيان حقيقة توحيد رب العباد ، حذفت فيه بعض الفصول ، كفصل تفسير آيات الربوبية وفصل تفسير آيات الألوهية ، وغير ذلك .

وذلك بناءً على إلحاح طلبة العلم ، حتى يكون الكتاب متناولاً بين صغار طلبة العلم .

وصلي الله وسلم وبارك على نبينا
محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

منهجي في البحث

أولاً : جعلت العمدة في استخراج مادة هذا البحث كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وأقوال السلف وأئمة اللغة.

ثانياً : عزوت الآيات إلى مواضعها في كتاب الله تعالى وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ثالثاً : عزوت الأحاديث إلى مواضعها من كتب السنة مع بيان درجاتها ما أمكن.

رابعاً : فسرت الآيات موضوع البحث وذلك بذكر معاني المفردات الصعبة والمعاني الإجمالية للآيات، مستفيداً من التفاسير المختلفة كابن جرير وابن كثير والسعدي والتفسير الفريد للقرآن المجيد لمحمد الجمال وغيرها.

خامساً : جعلت لكل آية أو مجموعة آيات متحدة الموضوع في مسألة الربوبية عنواناً مستقلاً يدل على مضمون الآيات، كما استنبطت منها ما يتعلق بها من الأحكام العقدية والفوائد، ووضعت لكل فقرة بعض الأسئلة كمناقشة لأثبت أن الربوبية تستلزم إفراد الله بالعبادة، وقد يجد القارئ تكراراً في بعض المواضع ولا مشاحة في ذلك، فالمراد ما يتحقق به هدف الكتاب.

سادساً : أما في الألوهية فقد جعلت الأحكام والفوائد والمناقشة في آخر الفصل وذلك لكثرة ما كتب في الألوهية، ولظن البعض أن الربوبية لا تحتاج إلى دليل عليها.

هذا والله أسال أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه

وأن ينفع به، وهو حسبي ونعم الوكيل

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بقلم

د. محمد بن عبدالرحمن الخميّس

الباب الأول

حقيقة التوحيد ومعناه عند أهل السنة

ويضم الفصول الآتية :

الفصل الأول :

حقيقة التوحيد ومعناه .

الفصل الثاني :

حقيقة التوحيد عند المخالفين لأهل السنة .

الفصل الثالث :

حقيقة معنى لا إله إلا الله عند أهل السنة ومخالفيهم .

الفصل الرابع :

أول واجب على المكلف .

الفصل الخامس :

الغاية من خلق الخلق وإرسال الرسل .

الفصل السادس :

القياس في التوحيد .

الفصل الأول

حقيقة التوحيد ومعناه

حقيقة التوحيد ومعناه لغةً واصطلاحاً :

(أ) التوحيد لغة :

هو تفعيل وحَّد يقال: **(وحَّدَه وأحَّده كما يقال ثنَّاه وثلَّثه)**[١] (وحَّده توحيداً أي جعله واحداً)[٢].

والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له[٣].

قال أبو القاسم التيمي[٤]: **(التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته توحيداً . . . ومعنى وحَّدته جعلته منفرداً عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك. وقيل الواو فيه مبدلة من الهمزة، والعرب تبدل الهمزة من الواو، وتبدل الواو من الهمزة كقولهم وشاح وأشاح، وتقول العرب أحَّدهن لي ووحَّدهن لي، أي جعلهن لي إحدى عشرة. ويقال جاءوا آحادَ آحادَ أي واحداً واحداً، فعلى هذا فالواو في التوحيد أصلها الهمزة).**

قال الهذلي[٥] :

لیت الصريمة[٦] أُحدان الرجال له   صيد ومجتزئٌ بالليل هجَّاسُ

وتقول العرب: (واحد وَحِدٌ وَوَحْدٌ ووحيد أي: منفرد، فالله تعالى واحد أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال. فقولهم وحَّدت الله: من باب عظمت الله، وكبرته، أي عَلِمتُه عظيماً وكبيراً.

---

(١) الصحاح (٢/٥٤٨) .

(٢) القاموس المحيط (١/٣٤٣)

(٣) القاموس المحيط (١/٣٤٣) .

(٤) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن العلي بن أحمد القرشي التيمي الطلحي الأصبهاني الملقب بقوام السنة ، قال عنه الذهبي : (الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام) مات سنة ٥٣٥ هـ ، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠) ، وانظر ترجمته في تذكرة الحفاظ (٤/١٢٧٧) ، والمنتظم (١٠/ ٩٠) .

(٥) هو مالك بن خالد الخناعي الهذلي وهذا البيت في وصف الأسد . - انظر ديوان الهذليين (٣/ ٤) .

(٦) الصريمة : رميلة فيها شجر وجمعها الصرائم . الصحاح (٥/١٩٦٦) .

فكذلك وحَّدتُهُ: أي عَلِمتُه واحداً، منزهاً عن المثل في الذات والصفات)[1] .

وقال الجرجاني[2] : (التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد)[3] .

وقال العيني[4] والقسطلاني[5]: (ومعنى وحدت الله: اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه)[6].

فالمقصود أن التوحيد في اللغة الاعتقاد في الشيء أنه واحد، والحكم بأنه واحد، والعلم بأنه واحد ونسبة الشيء إلى الوحدانية وجعل الشيء واحداً.

(ب) التوحيد في الاصلاح :

وأما حقيقة معنى التوحيد عند أهل السنة فيما اصطلحوا على تسميته توحيداً، وكما استنبط من الكتاب والسنة فهو الإقرار بالقلب واللسان بأن الله رب كل شيء ومليكه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وأنه الخالق لكل شيء، وأنه له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، فلا رب غيره ولا إله سواه ولا شريك ولا ند له، ثم إفراده بالعبادة وذلك بصرف جميع أنواع العبادة له وإخلاص الدين له. فهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل بكل جوانبه ظاهراً وباطناً علماً وعملاً.

هذا هو معناه الاصطلاحي، أما المناسبة بينه وبين معنى التوحيد في اللغة: فهي أن المعنى الاصطلاحي أخص من اللغوي وهذا شأن المعاني الشرعية مع المعاني اللغوية كما في الصلاة والصوم والحج.

---

(١) الحجة في بيان المحجة للتيمي (ص٢٣٩ - ٢٤٠) .

(٢) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني قال عنه اللكنوي : (علم نحرير قد حاز على قصبات السبق في التحرير فصيح العبارة دقيق الإشارة نظار فارس في البحث والجدل ولد في جرجان سنة ٧٤٠ هـ ، وتوفي بشيراز سنة ٨١٦ هـ .

(٣) كتاب التعريفات (ص٦٩) .

(٤) هو بدر الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن موسى بن حسين العنتابي الأصل والمولد والمنشأ المصري الدار والوفاة الحنفي المعروف بالعيني قال عنه تلميذه ابن تغري بردي : (هو العلامة فريد عصره ووحيد دهره وعمدة المؤرخين) .

(٥) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني المصري الشافعي قال عنه ابن العماد : (الإمام العلامة الحجة الرحالة الفقيه المقرئ المسند) ولد سنة ٨٥١ هـ وتوفي سنة ٩٢٣ هـ .

(٦) عمدة القارئ (١٥/ ٨١) ، إرشاد الساري (١٠/ ٣٥٧) .

الفصل الثاني

حقيقة التوحيد عند المخالفين لأهل السنة

لقد وجدت طوائف خالفت أهل السنة والجماعة في تفسير حقيقة معنى التوحيد، كما خالفوهم في أقسامه كما سيأتي، وذلك نتيجة لإعراضهم عن هدي الكتاب والسنة، واعتمادهم على عقولهم فقط، واقتباسهم من المنطق اليوناني وغيره، أو من المكاشفات والإلهام - بزعمهم - وهكذا أخطئوا في تفسير التوحيد كما سنرى. وقد تقدم تفسير التوحيد لغة، وأما اصطلاحاً عند أهل الكلام فهو كما يلي:

إفراد القديم من المحدَث[1].

وقيل: إثبات ذات غير مشبَّهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات[2].

وقيل : إفراد القديم عن الحدث[3].

وقيل : نفي التقسيم لذاته، ونفي التشبيه عن حقه وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته[4].

وقيل : سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له، وألوهيته وملكه وتدبيره لا شريك له، ولا رب سواه، ولا خالق غيره[5].

وقال الجرجاني: (واصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان. والتوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإفراد بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة)[6].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٤٤) .

(٢) عمدة القارئ (٢٥/ ٨) .

(٣) إرشاد الساري (١٠/ ٣٥٧) .

(٤) إرشاد الساري (١٠/ ٣٥٧) .

(٥) فتح الباري (١٣/ ٣٤٥) .

(٦) كتاب التعريفات (ص٦٩) .

وقال الشهرستاني[١]: (إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له)[٢].

وقال المُلاَّ علي قاري[٣]: (واحداً في ذاته، وواحداً في صفاته، وخالقاً لمصنوعاته)[٤].

وقال الشيخ محمد عبده[٥]: (إثبات الوحدة لله في الذات، والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد)[٦].

فالحاصل أنهم لا يعرضون لتوحيد الألوهية ويفسرونه بتوحيد الربوبية، فظنوا أنه هو المطلوب من العبادة وأن معنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله أو لا قادر على الاختراع إلا الله.

فأفنوا أعمارهم بما لم ينازع فيه المشركون، لكن لم ينفعهم ذلك ولم يدخلهم في الإسلام.

ومعلوم أن المقصد الأعظم الذي أرسل لأجله الرسل وأنزلت الكتب وخلق له الجن والإنس هو عبادة الله وحده لا شريك له، فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

* * *

---

(١) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني قال عنه الذهبي: (شيخ أهل الكلام والحكمة وصاحب التصانيف: صنف كتاب نهاية الإقدام وكتاب الملل والنحل وكان كثير المحفوظ قوي الفهم مليح الوعظ) مات سنة ٥٤٨هـ، سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٨٦)، وانظر ترجمته في شذرات الذهب (٤/١٤٩).

(٢) الملل والنحل (١/٤٢).

(٣) هو علي بن سلطان الهروي القاري الحنفي قال عنه الشوكاني: (أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولي الإفهام) توفي سنة ١٠١٤ هـ.

(٤) ضوء المعالي للقاري (ص١٣).

(٥) هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من آل التركماني مفتي الديار المصرية. الأعلام للزركلي (٦/٢٥٢، ٢٥٣).

(٦) رسالة التوحيد.

الفصل الثالث

حقيقة معنى لا إله إلا الله

عند أهـــل السنــة ومخالفيهم

المقرون بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» افترقوا في معناها على أربع فرق[1]:

الفرقة الأولى قالت : معناها لا معبود إلا الله وبناء على ذلك فإنهم ألّهوا كل معبود من دون الله قالوا لأن الله أخبر في كتابه بأنه قضى وقدر أن لا يعبد إلا هو فقال تعالى: **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾** فمن أمحل المحال أن يعبد إلا الله فكل معبود عندهم هو الله حقاً فالعجل هو الله وفرعون هو الله حقاً والبقر هو الله والكواكب هي آلهة حقاً والأصنام آلهة حقاً وهذا هو مذهب أهل الحلول والاتحاد.

والفرقة الثانية قالت : معناها لا موجود إلا الله فليس لله تعالى وجود سوى هذا العالم المرئي وهؤلاء هم أصحاب وحدة الوجود.

أما الاتصال عند الصوفية فمعناه أن الله تعالى حالٌّ في كل شيء أو أنه تعالى هو عين كل شيء أو أنه هو الوجود الساري في كل موجود، قال العلماء ومن يدين بهذا فهو زنديق كافر بلا ريب وهذا مذهب أصحاب وحدة الوجود وعليه كثير من المتصوفة[2].

والفرقة الثالثة قالت : إن معنى لا إله إلا الله هو القدرة على الاختراع وإن من اعتقد أن الله هو وحده القادر على الاختراع فقد حقق معنى لا إله إلا الله وهذا هو مذهب أهل الكلام.

والفرقة الرابعة : هم أهل السنة والجماعة فإنهم هم الذين يوحدون الله تعالى حقاً بأقوالهم وأفعالهم امتثالاً لأمره تعالى لنبيه محمد ﷺ الوارد في قوله تعالى: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**[3]

---

(١) الرسالة السلفية .

(٢) الرسالة السلفية .

(٣) الأنعام : ١٦٢-١٦٣ .

وهم الذين يفسرون لا إله إلا الله بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] وبقوله تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾[2] وبقوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾[3] وبقوله تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات التي تمنع التوكل أو الاعتماد على غيره تعالى فأهل السنة والجماعة لا يدعون إلا الله ولا يستغيثون إلا بالله ولا ينذرون إلا لله ولا يحلفون إلا بالله وهم الذين يخشونه ولا يخشون أحداً سواه[5].

* * *

(١) الفاتحة : ٥ .

(٢) هود: ١٢٣ .

(٣) الفرقان: ٥٨ .

(٤) الزمر : ٢ ، ٣ .

(٥) الرسالة السلفية .

الفصل الرابع

أول واجب على المكلف

لقد اختلف تحديد أول واجب على المكلف عند أهل السنة عنه عند أهل الكلام من المخالفين، وذلك بناء على اختلافهم في معنى التوحيد أصلاً، وفي معنى لا إله إلا الله، وسنحاول إيجاز ذلك على النحو التالي:

(أ) أول واجب على المكلف عند أهل السنة:

ينص أهل السنة والجماعة على أن أول ما يجب على العبد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإفراد الله تعالى بالعبادة، وحجتهم في ذلك أمور، من أهمها قوله ﷺ لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . . .»(١).

قال ابن أبي العز الحنفي: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة ألا إله إلا الله. لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك، كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه. . . .»(٢).

(ب) أول واجب على المكلف عند أهل الكلام :

اختلف أهل الكلام المذموم في بيان أول واجب على المكلف، وذلك كما يلي:

(١) ذهبت طائفة كابن فورك وغيره إلى أن النظر العقلي والاستدلال المؤدي إلى معرفة الخالق هو أول ما يجب على المكلف، وحجتهم أن النظر مقدمة الواجب الذي هو معرفة الله فيجب ذلك في آيات الصفات الواردة في القرآن، إنما هو مفتر على الله تعالى وعلى كتابه وكلامه، وقد قال نعيم بن حماد شيخ الإمام البخاري رحمهما الله تعالى: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه».

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) شرح الطحاوية (ص١٥) .

هذا وإن حقيقة التشبيه والتجسيم هي أن تثبت الصفة لله على الوجه والكيفية المعلومة من البشر، وهذا لعمر الله ما قال به أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم، بل السلف إنما يثبتون الصفة كما أثبتها الله تعالى وعلى المعنى اللائق به عز وجل دونما تكييف ولا تمثيل، فالله تعالى لم يحدد لنا الكيفية فلا يجوز أن نتكلم فيها إذ هي من المغيَّبات التي لا تعرف بالعقل، على أنَّا نعتقد عدم المشابهة بين الله وخلقه، كيف لا وقد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وأين التشبيه والتجسيم في مثل هذا الكلام؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦].

(٢) وذهبت طائفة كأبي بكر ابن الطيب وأبي إسحاق الإسفراييني إلى أن القصد إلى النظر هو أول الواجبات، وحجتهم في ذلك أن النظر ذو أجزاء يترتب بعضها على بعض[1].

(٣) ذهبت طائفة إلى أن أول واجب هو الشك الحامل على البحث الموصل إلى المعرفة واليقين. وهذا قول خطير جداً؛ لأنه يجعل الشك في الله - وهو كفر - يجعله أول ما يجب على المكلف[2].

قال القرطبي في المفهم: في شرح حديث «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف أمته، إلى طرق مبتدعة واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وأمور صناعية مدار أكثرها على آراء سوفسطائية، أو مناقضات لفظية ينشأ بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها، ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى وتعديدها واتحادها في نفسها، وهل هي الذات أو غيرها، وفي الكلام: هل هو متحد أو منقسم، وعلى الثاني: هل ينقسم بالنوع أو الوصف، وكيف تعلق في الأزل بالمأمور مع كونه حادثاً، ثم إذا انعدم المأمور هل يبقى التعلق، وهل الأمر لزيد بالصلاة مثلاً هو نفس الأمر

---

(١) نقل ذلك والذي قبله ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٦١).

(٢) نقله في الفتح (١٣/ ٣٦٣) عن القرطبي.

لعمرو بالـزكاة إلى غير ذلك مما ابتـدعوه مما لم يأمر به الشـارع وسكت عنه الصحابـة ومن سلك سبيلهم، بل نهوا عن الخوض فـيها لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تعلم كـيفيته بالعقل، لكون العقول لها حد تقف عنده، ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدرك به فهو عن إدراك غيره أعجـز، وغاية علم العـالم أن يقطع بوجـود فاعل لهذه المصـنوعات منزه عن الـشبيه مقدس عن النـظير متصف بصفـات الكمال، ثم متى ثبت الـنقل عنه بشيء من أوصـافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسـكتنا عما عداه، كما هو طريق السلف، وما عـداه لا يأمن صاحبه من الزلل، ويكفي في الردع عن الخوض في طـرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كـعمر بن عبدالعزيز ومالك بن أنس والشافعي، وقد قطع بعض الأئمـة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعـلق بذلك من مبـاحث المتكلمـين، فمن رغب عن طريـقهم فكفاه ضـلالاً، قال: وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وببعضهم إلى الإلحاد وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نـصوص الشارع وتطلبهم حقائق الأمور من غـيره، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: «ركبت البحر الأعظم، وغصت في كل شيء نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فراراً من التقليد ، والآن فقد رجعت واعتقدت مـذهب السلف» هذا كلامه أو معناه وعنه أنه قال عند موته: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلـو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلت به» إلى أن قال القرطبي: ولو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقاً بالذم:

إحداهما: قول بعضهم إن أول واجب الشك إذ هو الـلازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر، وإليه أشار الإمام بقوله ركبت البحر.

ثانيتهما: قول جماعة منهم إن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها والأبحاث التي حرروها لم يصح إيمانه، حـتى لقد أورد على بعضهم أن هـذا يلزم منه تكفير أبيـك وأسلافك وجيرانك، فقال لا تشنع عليّ بكثرة أهل النار، قال: وقد رد بعض من لم يقل بهما على من قال بهما بطريق من الرد النظري وهـو خطأ منه، فإن القائل بالمسـألتين كافر شرعاً، لجعله الشـك في الله واجباً، ومعظم المسلمين كفاراً حتى يدخل في عموم كلامـه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة، وإلا فلا يوجـد في الشرعيات ضروري، وختم القرطبي كلامه بالاعتذار عن إطالة النَّفَـس في هذا الموضع لما شاع بين الناس من هذه البدعة حتـى اغتر بها كثير من الأغمار فوجب بذل النصيحة، والله يهدي من يشاء ، انتهى.

الفصل الخامس

الغاية من خلق الخلق وإرسال الرسل

اختلف تحديد الغاية من خلق الخلق وإرسال الرسل عند أهل السنة عنه عند مخالفيهم، وذلك كما يلي:

أولاً - عند أهل السنة :

يقول أهل السنة إن الغاية من خلق الله هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالآية صريحة في بيان أن توحيد العبادة هو غاية خلق الخلق، وكذلك فهو الغاية العظمى من إرسال الرسل وإنزال الكتب. وهو أول دعوة الرسل والغاية من خلق الجن والإنس كما يشهد بذلك الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦]

ومن السنة حديث ابن عباس وفيه: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب. فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل . . .»(١).

فهذان النصان الشرعيان دالان على أن أول دعوة الرسل والغاية من بعثتهم هي الدعوة إلى توحيد الله في العبادة، والنصوص الشرعية في ذلك كثيرة.

ثانياً - عند المخالفين من أهل الكلام :

خالف أهل الكلام المذموم أهل السنة فجعلوا الغاية العظمى من إرسال الرسل وإنزال الكتب معرفة الله، وإثبات الصانع الخالق سبحانه وتعالى، وهي إثبات الربوبية لله تعالى.

والمصيبة أن أهل الكلام أفنوا أعمارهم لتحقيق هذه القضية المسلّم بها حتى عند المشركين.

---

(١) تقدم تخريجه .

وليتهم وقفوا عند هـذا بل زعموا أن توحيد الربوبية هو الغاية العظمـى من بعثة الرسل، وأنهم إذا أثبتوه بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد[1].

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: (أصل معنى التوحيد اعتـقاد أن الله واحد لا شريك له . . . وهو إثبات الوحدة لـله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنـه وحده مرجع كل كون ومنتهـى كل قصد. وهذا المطـلب كان الغاية العـظمى من بعثة الـنبي ﷺ كما تشـهد به آيات الكتاب العزيز)[2].

والرد على هذا ما يلي :

(أ) أن توحيد الربوبية نـوع من التوحيد فهو بعضه لا جميعه، وقد أقـر به المشركون، فكيف مع ذلك يكون هو الغاية العظمى من بعثة الرسل؟.

(ب) أن مجرد الإقرار بهذا التوحيد فقط لا يـوجب الدخول في الإسلام ولا يصير به الرجل مسلماً.

فمشركـو العرب كانوا مقـرين بأن الله تعـالى وحده خالق كل شـيء، ومع هذا سـماهم مشركين، حيث قال عنهم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فالمراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ ﴾ هو تصديقهم واعترافهم بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت، والمراد من قوله تـعالى: ﴿ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ أي أنهم أشركوا مـع الله في عبادته وهذا ما فسر به السلف هذه الآية[3].

قال محمـود الألوسي الحنفي فـي تفسير هذه الآيـة: (يندرج فيهم كـل من أقر بالله تـعالى وخالقيته مثلاً وكان مرتكباً شركاً كيفما كان، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود)[4].

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٤٥ - ٨٤٦) ومجموع الفتاوى (٣/ ٩٨) ، وفتح المجيد (ص١٣) .

(٢) رسالة التوحيد (ص ٤٣) .

(٣) كابن عبـاس ومجاهد وعطاء وعكـرمة والشعبي وقتـادة والضحاك ، انظر جامـع البيان (١٤/ ٧٧) ، ومعالم الـتنزيل (٢/ ٤٥٢) .

(٤) روح المعاني (١٣/ ٦٧) .

الفصل السادس

القياس في التوحيد

قد يظن البعض أن هناك قياساً في التوحيد، وأنه يمكن قياس الخالق على المخلوق، وهذه مسألة خطيرة جداً، بل إن إدخال القياس في أمور التوحيد، وهي أمور غيبية لا يصح أن يدخلها القياس، أقول إن إدخال القياس في التوحيد كان سبباً رئيساً في طروء الخلل والفساد والانحراف على كثير من الفرق الإسلامية.

يقول أبو عمر ابن عبدالبر في جامعه: لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة -وهم أهل الحديث والفقه فيه - في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام إلا أهل الظاهر فإنهم نفوا القياس في التوحيد والأحكام جميعاً ، وأما أهل البدع فإنهم على قولين في هذا الباب سوى القولين المذكورين فمنهم من أثبت القياس في التوحيد والأحكام جميعاً ، ومنهم من أثبته في التوحيد ونفاه في الأحكام[1] . اهـ.

ولا شك في صحة كلام ابن عبدالبر في نفي القياس في التوحيد فالله سبحانه وتعالى لا تدركه العقول والأبصار ولا تحيط به علماً ولا شيء يماثله فلا يمكن أن يستعمل في حقه القياس بهذا المعنى، وإنما يستعمل في حقه قياس الأولى وهو أن كل كمال ثبت للمخلوق ولا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله أولى به ، وكل نقص يتنزه المخلوق عنه فالله أولى بالتنزيه عنه كما قال تعالى: ﴿ولله المثل الأعلىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

يقول شيخ الإسلام : (ولكن قياس التمثيل في حق الله تعالى لم يسلكه أحد لم يسلك فيه إلا قياس الأولى، وهو الذي جاء به الكتاب والسنة، فإن الله لا يماثل غيره في شيء من الأشياء حتى يتساويا في حكم القياس بل هو سبحانه أحق بكل حمد وأبعد عن كل ذم فما كان من صفات الكمال المحضة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه فهو أحق به من كل ما سواه وما كان من صفات النقص فهو أحق بتنزيهه عن كل ما سواه)[2].

فالله سبحانه وتعالى يستعمل في حقه المثل الأعلى أما قياس الخالق على المخلوق وقياس

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٥٥ - ٧٣) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٤) .

الغائب على الشاهد مع العلم بعدم المماثلة فلا شك في بطلانه وأنه غير جائز. قال ابن عبدالبر: (والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى لأنه ليس كمثله شيء)[1].

فالأصل في هذا الباب الوقوف مع النص دون تعدٍ بقياس أو تشبيه والله أعلم.

هذا والجدير بالتنبيه أن قواعد القياس فيما أصلوه ثلاث قواعد: **إحداها**: تشبيه الشيء بغيره إذا اشتبها.

والثانية: الحكم للنظير بحكم نظيره إذا كان في معناه.

والثالثة: الحكم للفرع بحكم أصله إذا قامت العلة التي من أجلها وقع الحكم.

ومن البديهي لدى كل عاقل أن واحدة من هذه القواعد الثلاث لا يمكن تطبيقها بحال من الأحوال على الباري عز وجل مع مخلوق من مخلوقاته ؛ لأنه تعالى لا شبه له ولا نظير له ولا فرع له ولا أصل أي لا والد ولا ولد.

وبما ذكر يتبين بطلان القياس في التوحيد، وقياس الخالق على المخلوق، وهو منهج مفضي إلى الضلال والعياذ بالله تعالى. ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ [الإخلاص: ١ - ٣] ﴿ **أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء** ﴾ ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ﴿ **وما من إله إلا الله** ﴾ ويكفينا للرد على القايسين في التوحيد هاتان الآيتان وهما قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾.

ويقول الزجاج: لا تجعلوا لله مثلاً فإنه واحد لا مثل له وكانوا يقولون:- يعني أهل الجاهلية- إن الله العالم أجل من أن يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون إليه بعبادة الأصنام والكواكب كما أن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الأكابر يخدمون الملك. اهـ.

وإذا رجعنا إلى القواعد المذكورة وجدنا أن واحدة منها لا يمكن أن تطبق على الخالق جل وعلا لأنه كما نطقت الآية: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ فيدرك بقياس أو بإمعان النظر ولأنه لا يرى في الدنيا كما جاء في الحديث: «واعلموا أن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت» ولأن دليل التمانع يمنع من تطبيقها عليه إذ لو كان الأمر كذلك لم يوجد خلق لأن كل واحد من الآلهة سيهدم ما بناه الآخر ليخلق هو الآخر خلقه على أنقاض خلق الآخر ، ثم يهدم الآخر ما بناه الأول وهكذا

---

(١) التمهيد (١٩/ ٢٣٢) .

دواليك لم يكن في الكون خلق أبداً وهذا خلاف الواقع إذن ما من إله إلا إله واحد فبطلت قواعد القياس كلها في حقه.

وروى ابن عبدالبر بإسناده عن مطرف بن عبدالله عن الحسن البصري أنه قال أول ما قاس إبليس قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، وروى بإسناده عن داود بن أبي هند عن محمد بن سيرين أنه قال أول من قاس إبليس لعنه الله وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس وروي أيضاً عن الشعبي أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تهلك أمتي حتى تقع في المقاييس فإذا وقعت في المقاييس فقد هلكت» وروي عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها على أمتي فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم».



الباب الثاني

براهين التوحيد
وفضائله وثمراته وبيان الشرع له

ويضم الفصول الآتية :

الفصل الأول :

براهين التوحيد .

الفصل الثاني :

فضائل التوحيد وثمراته .

الفصل الثالث :

بيان الشرع للتوحيد .

الفصل الرابع :

حماية الشرع لجناب التوحيد .

الفصل الخامس :

الدعوة إلى التوحيد .

الفصل السادس :

خصائص أهل التوحيد .

الفصل الأول

براهين التوحيد

إن توحيد الله تعالى مسألة وقضية أجل وأعظم من أن يستدل عليها، وكما قال الشاعر:

وكيــــف يصح في الأذهـــان شيء إذا احتـــاج النـــهار إلى دليل

ولهذا قالت الرسل لأقوامهم لما أظهروا الشك في الله تعالى: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ولكن رحمة الله تعالى اقتضت أن يقيم لعباده من البراهين، وقواطع الأدلة ما يقطع به حجتهم ويدحض به شبههم، فكانت براهين التوحيد كثيرة جداً، ومن أهمها:

البرهان الأول - شهادة الله لنفسه بالتوحيد:

كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨] فقد شهد الله تعالى لنفسه، وقضى وحكم وأخبر بأنه لا إله إلا هو وأنه لا رب خالقاً ورازقاً ومدبراً وقادراً غيره. فلا مستحق للعبادة غيره ولا منفرد بالربوبية سواه، فالله تعالى أعظم شاهد على أجل مشهود به في أجل قضية وهي قضية التوحيد، فهذا أعظم البراهين على توحيد الله تعالى، وهو برهان سمعي نقلي كما أن شهادة الله تعالى تكون بما جعل من الآيات الكونية والتي سيأتي الكلام عنها.

البرهان الثاني - شهادة الملائكة:

كما في الآية السابقة فالملائكة يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وهذه شهادة عدل من خلق كرام على هذه القضية الجليلة، وهذا برهان ثانٍ على توحيد الله تعالى وهو برهان سمعي كالذي قبله.

البرهان الثالث - شهادة الرسل:

فجميع الرسل الكرام، وهم أشرف الخلق وأطهرهم وأزكاهم نفساً، فقد شهدوا جميعاً لله تعالى بالوحدانية ودعوا أقوامهم إلى الإقرار بهذه القضية العظيمة، ونذروا أنفسهم لها، وأفنوا

أعمارهم في سبيلها، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

فالرسل جميعاً شهدوا لله بالوحدانية، وأخبروا بذلك، وحكموا به، وقاتلوا الناس عليه، فهم أشرف شاهد من الخلق على أجل مشهود به وهو قضية توحيد الله عز وجل، وهذا برهان سمعي كالذي قبله.

البرهان الرابع - شهادة أهل العلم:

وهذا كذلك برهان على توحيد الله تعالى، فأهل العلم يشهدون ويقطعون لله بالوحدانية، كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] وشهادتهم بذلك قاطعة يقينية لأنهم أعلم الناس بالله بعد الرسل الكرام.

البرهان الخامس - شهادة العقلاء من الأمم:

فإن العقلاء من كافة الأمم أطبقوا على توحيد الله عز وجل ووجوب إفراده بالعبادة، وأخبروا بذلك، وقضوا به، ولا يمكن أن يتواطأ جميع هؤلاء على الكذب والإخبار بخلاف الحق، بل إطباقهم وإجماعهم على هذه القضية دليل صدق على أن براهين التوحيد كافية ظاهرة لكل إنسان صحيح العقل.

البرهان السادس - دلالة الفطرة:

إن كل إنسان يجد في نفسه داعية التوحيد، وأثر الفطرة الداعية إلى التعلق بالله وحده، هذا ما لم يتعرض لمؤثرات خارجية تصرفه عن ذلك، وهذه الفطرة هي الإسلام كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] وهي أثر الميثاق الأزلي الذي أخذه الله على الناس وهم في ظهر آدم أن يقروا به رباً معبوداً، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهذا كله ما لم توجد مؤثرات خارجية صارفة، فإنه وجدت فقد تضعف من

دلالة الفطرة، كما قال ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(1).

البرهان السابع - دلالة الآفاق :

وهي دلالة الآيات الكونية العظيمة على وجود خالق واحد، ومدبر واحد، مستحق للعبادة دون سواه، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ {فصلت: ٥٣} وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ {الأعراف: ١٨٥}.

فهذا برهان حسي مشاهد وهو من أعظم البراهين على إثبات التوحيد.

وقد سئل أعرابي كيف عرفت الله؟ فقال: البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟!!.

فكل ما حولنا من الآيات الكونية شاهد وناطق بالوحدانية، ودليل على أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت القادر ولا أحد غيره يملك من هذا شيئاً.

* * *

(١) البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨) .

الفصل الثاني

فضائل التوحيد وثمراته

إن للتوحيد فضائل كثيرة، وله أعظم ثمرات في الدنيا والآخرة، للفرد وللمجتمع على السواء، نذكر منها:

(١) التوحيد سبب للنجاة من النار :

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] وفي الحديث : «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[١].

(٢) التوحيد سبب لتكفير الخطايا :

فالتوحيد أعظم أسباب تكفير الخطايا والذنوب، كما قال ﷺ : «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[٢].

(٣) قبول العمل الصالح :

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٣٦] .

وقال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، فقبول الأعمال والأقوال الصالحة متوقف على التوحيد.

(٤) الأمن في الدنيا والآخرة :

فالموحدون هم المستوجبون للأمن في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) البخاري (٤١٥) ومسلم (٣٣) عن عتبان بن مالك .

(٢) الترمذي (٣٥٤٠) عن أنس .

(٥) النصر والعزة في الدنيا والآخرة :

فقد تكفل الله لأهل التوحيد الخالص بالنصر والعزة والتمكين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

(٦) تحرير العبد من عبودية غير الله :

فإن التوحيد الصافي يحرر الإنسان من التعلق بغير الله من المخلوقين والآلهة الباطلة ويشعر الإنسان بعزته وكرامته، إذ هو غير معبد إلا لله تعالى وحده، فلا سلطان لأحد عليه وقد تحرر عقله من الخرافات والخزعبلات والترهات، فهو لا يخاف إلا من الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتعلق بغير الله، وهذه من أعظم ثمرات التوحيد وفضائله.

(٧) دخول الجنة :

فإن الموحد مستوجب لدخول الجنة بتوحيده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١١].



الفصل الثالث

بيان الشرع للتوحيد

إن القرآن قد بين التوحيد أكمل بيان وأوضحه، بل لعلنا لا نغالي حين نقول: إن التوحيد هو قضية القرآن الأولى والأساسية، والتي تدور حولها جميع آياته، وبيان ذلك أن آيات القرآن قد تنوعت على النحو التالي:

(١) آيات تتحدث عن توحيد الله تعالى وانفراده بالخلق والرزق والملك والتدبير، وأسماء الله تعالى وصفاته، فهذه كلها تتعلق بالتوحيد العلمي الخبري.

(٢) آيات تتحدث عن توحيد الألوهية والعبادة وتأمر به وتستدل له، فهذا هو التوحيد الطلبي الإرادي.

(٣) آيات فيها تكليف الخلق بأمر أو نهي، وأمر بطاعة الله تعالى، فهذه حقوق التوحيد ومكملاته.

(٤) آيات تتحدث عن الأمم السابقة وما حاق بهم من عذاب الله تعالى، فهذه الآيات بيان لعاقبة المعرضين عن التوحيد.

(٥) آيات فيها ذكر الجنة ونعيمها وما أعد الله لأهلها من المثوبة، فهذا جزاء أهل التوحيد.

(٦) آيات فيها ذكر النار وعذابها وما أعد الله لأهلها من العقوبة، فهذا جزاء من ترك التوحيد وتلبس بضده من الشرك والمعاصي.

* * *

الفصل الرابع

حماية الشرع لجناب التوحيد

لقد حرص الشرع المطهر على حماية جناب التوحيد من كل ما يخدشه أو يناقضه، ولذلك فقد حرصت الشريعة أشد الحرص على سد كل ذريعة يمكن أن تفتح باباً لما يناقض التوحيد أو ينقص من كماله الواجب فمن ذلك:

(١) النهي عن الغلو فيه ﷺ وتحريم ذلك:

ومما يدل على ذلك ما جاء عن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تُطْرُوني كما أطرتِ النصارى ابن مريم إنَّما أنَا عَبْدٌ. فقولوا: عَبْدُ الله ورسوله» أخرجاه(١).

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكُمْ والغلوَّ، فإنَما أهْلَكَ من كان قبلكم الغُلُو»(٢).

ولمسلم عن ابن مسعودٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال «هَلَكَ المُتنطِّعون» قالها ثلاثاً(٣).

ومن ذلك النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً، وقد ورد ذلك في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلُوا بيوتكم قُبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عَلَيَّ، فإن صلاتكم تبلُغني حيث كُنتم». رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات(٤).

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنَّه رأى رجُلاً يجيء إلى فُرجةٍ كانت عندَ قبر النبي ﷺ، فَيدْخُلُ فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحَدِّثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلُّوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلُغُني أينما كنتم». رواه في المختارة(٥).

---

(١) رواه البخارى: (٣/ ١٢٧١) حديث رقم (٣٢٦١) وروي مسلم أصله: (٣/ ١٣١٧) حديث رقم (١٦٩١).

(٢) رواه النسائى في (السنن): (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجة في (السنن): (٢/ ١٠٠٨) حديث رقم (٣٠٢٩).

(٣) رواه مسلم.

(٤) السنن: (٢/ ٥٣٤) (كتاب المناسك) حديث رقم (٢٠٤٢).

(٥) (الأحاديث المختارة) للضياء المقدسي: (٢/ ٤٩) حديث رقم ٤٢٨

روى مالكٌ في المُوطَّأ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : «اللهُمَّ لا تجعل قبري وَثناً يُعْبَدُ، اشتدَّ غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١].

(٢) التحذير من الغلو في الصالحين واتخاذ قبورهم مساجد:

وقد ورد التغليظ في شأن هذا لمسلم عن جَنَدُبٍ بن عبدالله قال : سمعتُ النبي ﷺ قبل انْ يموتَ بخمسٍ وهـو يقول : «إنّي أبرأ إلى الله ان يكونَ لـي منكم خليلٌ، فإنَّ اللـه قد اتَّخَذَني خليلاً، كما اتَّخَذَ إبراهيـمَ خليلاً. ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أمَّتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليـلاً، الا وإنَّ من كانَ قبلـكم كانوا يتخذون قبـور أنبيائهم مساجدَ، الا فـلا تتخـذوا القبور مـساجد، فإنّي أنهاكم عن ذلك»[٢].

ولهما عنها قالت : لما نُزِل برَسولِ الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصَةً له على وجهه، فإذا اغْتَمَّ بها كشفها فقال وهو كـذلك : «لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى، اتَّخذُوا قبـورَ أنبيائهم مساجدَ»، يُحَذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرِزَ قَبْرُه، غير انَّه خَـشـيَ ان يُتَّخَذَ مسجـداً. اخرجاه[٣].

(٣) التحذير من كل قول ينافي أصل التوحيد أو كماله الواجب:

ومن ذلك النهي عن الحلـف بغير الله تعالى، كما قال ﷺ : «من حلـف بغير الله فقد كفر وأشرك»[٤].

وكذلك التحذير من كل قول قد يكون فيه غلـو أو رفع للشخص فوق منزلته، فمن ذلك ما جاء عن عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنتَ سيِّدُنا، فقال : «السيدُ الله تباركَ وتعالى »، قلنا : وأفضلُنا فضلاً، وأعظمُنا طولاً، فقال : «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان». رواه أبو داود بسندٍ جيِّد[٥].

---

(١) الموطأ مع تنوير الحوالك : (١/ ١٨٥ - ١٨٦) .

(٢) رواه مسلم : (١/ ٣٧٧ ، ٣٧٨) حديث رقم (٥٣٢) .

(٣) رواه البخاري : (١/ ١٦٨) حديث رقم ٤٢٥ ، ومسلم : (١/ ٣٧٧) حديث رقم (٥٣١) عن عائشة وابن عباس .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢ / ٣٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ١٢٥) والترمذي (١٥٣٥) في النذور / باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٥) (السنن) : (٥/ ١٥٤ - ١٥٥) حديث (٤٨٠٦) .

وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ ناساً قالوا : يا رسول الـله يا خيْرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنـا، فقال : «يا أيُّهـا الناس قولوا بـقولكم، ولا يسـتهوينكـم الشيطانُ، أنَـا محمدٌ عبـدالله ورسوله، ما أحِـبُّ أن ترفعوني فوق مـنزلتي التي أنـزلني الله عزَّ وجـلَّ» رواه النسائـي بسند جيد(١).

(٤) التحذير من الغلو في أماكن مخصوصة:

وذلك لأن الغلو حتى في الأماكن يفتح ذريعة لـلإشراك بالله تعالى، لهذا نهى النبي ﷺ من شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، وقصد عمر رضـي الله عنه إلى شجرة بيعة الرضوان فقطعها خوفاً من تعظيم الناس لها.

وبهذا يتـضح أن الشريعة قد حـرصت ولله الحمد عـلى سد كل أبواب الشرك حـرصاً على حماية التوحيد وصيانة لجنابه عما يخدشه.

* * *

(١) (عمل اليوم والليلة) ص ٢٥٠ حديث رقم (٢٤٩) .

الفصل الخامس

الدعوة إلى التوحيد

إن الدعوة إلى التوحيد واجب على كل عبد، فلا يكفيه توحيده فقط في نفسه حتى يكون داعياً للناس إلى التوحيد على حسب طاقته، وقد ذهب البعض إلى أن البدء بالدعوة إلى التوحيد يمكن أن تفرق شمل الأمة، وتنفر أهل المعاصي، وتكون داعية للفرقة، وغفلوا عن أن أول ما يجب أن يدعى الناس إليه هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وأنه طريق النبي ﷺ في دعوته، ولهؤلاء نقول:

(أ) طريقة الرسول ﷺ وأصحابه في الدعوة :

الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم هي طريق الرسول ﷺ وأتباعه فعلينا أن نفعل ذلك لنكون من أتباعه. والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(ب) شهادة أن لا إله إلا الله أول واجب يدعى إليه الناس :

طريقة جميع الأنبياء أنهم أول ما يدعون قومهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وعبادة الله وحده لا شريك له وهي طريقة سيدهم وإمامهم محمد ﷺ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه ويأمر رُسله وأتباعه أن يدعوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإلى توحيده قبل كل شيء، لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد.

(ج) الحرص على هداية الناس إلى التوحيد :

على المسلم إذا فرغ من الاجتهاد في تعلم الإسلام وتكميل نفسه بتوحيد الله عز وجل أن يجتهد في تعليم غيره الإسلام وتكميله، وإلجاءه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قولاً وعملاً، فهذا من أوجب الواجبات على المسلم، وفيه أجر عظيم جداً أعظم من كل نعم الدنيا مهما بلغت وعظمت.

الفصل السادس

خصائص أهل التوحيد

إن لأهل التوحيد خصائص وصفات يتميزون بها عن غيرهم، وهذا بفضل الله تعالى بسبب وببركة توحيدهم، فمن ذلك:

(أ) أهل التوحيد يبتغون إلى الله الوسيلة:

بيَّن الله تعالى في هذه الآية أن الملائكة الذين كان بعض المشركين يعبدونهم، وكذلك صالحي الجن، وعيسى وعزيراً وغيرهم، كل هؤلاء الذين عبدوا من دون الله هم أنفسهم يدعون الله تعالى ويرجون رحمته ويبتغون إليه الوسيلة ويخافون عذابه كما قال تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً** ﴾ [الإسراء: ٥٧].

(ب) أهل التوحيد يحققون التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:

فإن حقيقة التوحيد هو العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له. ولا يتحقق ذلك إلا :

(١) بنفي الألوهية كلها عن غير الله واعتقاد أنه لا يستحق الألوهية ولا شيئاً من العبودية أحد من الخلق سواه سبحانه.

(٢) إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له.

(ج) أهل التوحيد يتبرءون من الشرك وأهله:

وهذا لأن التوحيد لا يتم إلا بعد التبرؤ من الشرك وأهله، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

فالآية توضح وجوب البراءة من الشرك والمشركين، وهذا هو سبيل المؤمنين بالله الموحدين له سبحانه.

(د) أهل التوحيد يوجبون إخلاص العبادة لله وحده:

أي أن الإنسان لا يجوز له أن يشرك مع الله في عبادته أحداً. فلا بد من إخلاص العبادة لله لا شريك له. والناس في ذلك ثلاثة أقسام:

(١) قسم يعبد الله وحده وهم أهل التوحيد الذين وحدوا الله بكل صور التوحيد، فأخلصوا له العمل.

(٢) قسم يعبد غيره فقط.

(٣) وقسم يعبد الله وغيره، والأول هو الموّحد دونه غيره.

وأما القسمان الثاني والثالث فهما خارجان عن التوحيد متلبسان بالشرك.

(هـ) أهل التوحيد يعلمون أن الله هو الضار النافع وحده:

لذلك فهم يقولون إنه يجب على العبد أن يتعلق قلبه بالله وحده طمعاً ورجاء وخوفاً وأن يعتمد على الله وحده وأن يفوض الأمور كلها لله وحده فهو وحده الدافع للبلاء وهو الضار والنافع.

قال تعالى: ﴿ وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

فالله تعالى هو المتفرد بكشف الضراء وجلب الخير والسراء، فإذا كان وحده النافع والضار فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية وأما غير الله فلا يملك كشف الضر أو جلب النفع.

(و) أهل التوحيد يرون وجوب الاعتماد على الله وحده ولا يتعلقون بغيره:

يجب أن يكون اعتماد العبد على الله وتعلق القلب به وحده والتوكل عليه سبحانه دون غيره، فإن من اعتمد على غير الله في طلب خير أو دفع شر وكله الله إلى ذلك الشيء الذي اعتمد عليه، وحرمه الله من معونته إياه، فكان ذلك الحرمان سبباً في خذلانه وخسارته، لأن غير الله تعالى لا يملك ضراً ولا نفعاً.

والقلب المتعلق بغير الله يكون متحيراً تائهاً غير موفق لما فيه خيره في الدنيا والآخرة، ولا

يظفر بحاجته لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل يعيش في قلق وخوف وأوهام كلها تحرمه من السعادة المنشودة.

(ز) أهل التوحيد يرون أن الله هو الرازق وحده:

فهم يرون أن الخير كله بيد الله يعطيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء وهو المالك للضر والنفع وحده، وهو الذي عنده الرزق دون سواه لأنه القادر عليه وحده فمن طلب الرزق وكشف الضر أو جلب النفع من غيره ممن لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، ولا يمكن أن يظفر بحاجته أبداً.

(ح) أهل التوحيد يقدمون قول الرسول على كل قول:

فهم يرون أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله فيجب طاعته ﷺ وتقديم قوله على كل قول كل أحد أياً كان ومن ترك قول رسول الله ﷺ إلى قول الرجال فقد دخل تحت طاعة العلماء والأحبار ومن أطاعهم فقد اتخذهم أرباباً من دون الله.

عقوبة من قدم أقوال الرجال على قول الرسول ﷺ :

من قدم أقوال الرجال على قول الرسول ﷺ مع علمه بصحة قول الرسول ﷺ فإنه يُخشى عليه من العقوبات الآتية :

(١) حصول الفتنة في قلبه من نفاق أو بدعة أو شرك أو كفر.

(٢) أن يصيبه عذاب أليم في الدنيا إما بقتل أو حد أو حبس.

(٣) الهلاك والعذاب الأليم المقيم في الآخرة.

حكم طاعة ولاة الأمر :

ولاة أمور المسلمين من الأمراء والعلماء لهم على الناس حق السمع والطاعة إذا أمروا بطاعة الله تعالى، لكن إذا أمروا بمعصية الله فلا تجوز طاعتهم ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، وإنما الطاعة في المعروف.

* * *

الباب الثالث

أقسام التوحيد

ويضم الفصول الآتية :

الفصل الأول

أقسام التوحيد عند أهل السنة .

الفصل الثاني

أقسام التوحيد عند مخالفي أهل السنة .

الفصل الثالث

دلالة (لا إله إلا الله) على التوحيد بكل أنواعه .

الفصل الرابع

مناقشة دعوى أن تقسيم التوحيد ليس له حقيقة شرعية .

الفصل الخامس

مناقشة دعوى أن أقسام التوحيد ليست من الثوابت وأنها محدثة في القرن السابع .

الفصل السادس

مناقشة دعوى أن أقسام التوحيد لا ينعقد عليها الولاء والبراء .

الفصل السابع

مناقشة دعوى إضافة توحيد الحاكمية إلى أقسام التوحيد .

الفصل الأول

أقسام التوحيد عند أهل السنة

لأهل السنة والجماعة طريقان في بيان أقسام التوحيد، وذلك على النحو التالي:

(أ) ذهب جماعة من علماء أهل السنة إلى أن التوحيد قسمان:

(١) توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي الاعتقادي الخبري. ويقصد به ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى ذاتاً وأفعالاً وصفاتًا.

(٢) توحيد الطلب والقصد والإرادة. وهو توحيد الله بأفعال العباد، بمعنى أن يقصد بالأعمال كلها وجه الله تعالى وحده لا شريك له.

(ب) وذهب فريق آخر من علماء أهل السنة والجماعة إلى أن التوحيد ثلاثة أقسام:

(١) **توحيد الربوبية**: أي إثبات انفراد الله تعالى بأفعال الربوبية من خلق وملك ورزق وتدبير.

(٢) **توحيد الأسماء والصفات**: أي إثبات أسماء الله وصفاته على معانيها الحقيقية مع نفي مشابهة غيره له فيها.

(٣) **توحيد الألوهية**: أي العبودية وذلك بصرف العبادة بجميع أنواعها لله تعالى وحده. أي توحيد الله تعالى بأفعال العباد.

وليس هناك منافاة بين القولين والمذهبين، فمن جعلها قسمين فقد أجمل، وجمع الربوبية والأسماء والصفات توحيداً علمياً، وتوحيد الألوهية توحيداً عملياً. ومن جعلها ثلاثة أقسام فقد فصل في التقسيم. وتقسيم التوحيد إلى قسمين باعتبار ما يجب على الموحد من العلم والعمل، وأما تقسيمه إلى ثلاثة أقسام فباعتبار متعلقه وموضوعه، ولا تعارض ولله الحمد.

ومما ورد عن السلف في تقرير هذه الأقسام للتوحيد قول الطحاوي: «إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره» فلا إله غيره تشير إلى توحيد الألوهية، وما قبلها يشير إلى توحيد الربوبية، وما قبله يشير إلى توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأول العبارة يشير إلى جميع أنواع التوحيد كلها.

وقد قال شارح الطحاوية وهو الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: (ثم التوحيد

الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: تـوحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد)[1].

وذكر هذا شارح الفقه الأكبر المُلاّ علي القاري حيـث قال: (ابتداء كلامه سبحانه وتعالى في الفاتحة بـالحمد لله رب العالمين يـشير إلى تقرير تـوحيد الربوبية، المـترتب عليه توحيـد الألوهية، المقتضي من الخلق تحقيق العبودية)[2].

فما أشار إليه الطحاوي وقرره ابن أبي العز والملا علي القاري دل عليه القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال تعـالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

وقال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

فأخـبر الله تـعالى أن المشـركين الذين بُـعث فيـهم محمـد ﷺ معترفـون بالربوبـية ولا ينكرونها، ولا يجعلـون أحداً من آلهتهم شريكاً لله في ربوبيته من الخـلق والرزق والملك والتدبير والتصريف، فهذه الحقيقة لا ينكرها المشركـون، وأخبر تعالى أن المشركين أنكروا على النبي ﷺ حقيقة أخرى لما نهاهم عن اتخاذ الشركاء وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣١) .

(٢) شرح الفقه الأكبر (ص ١٥) .

فهذا باطل عندهم، وفاسد، وقالوا ما حكى الله عنهم في كتابه الكريم: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

لذا تعجبوا كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده.

وأما الأدلة من السنة فهي أن النبي ﷺ كان يُعَلِّمُ أصحابه والداخلين في الإسلام من جديد بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً، حيث كانوا مقرين بأن الله هو الخالق. فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ....»(١).

وفي رواية: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى ....»(٢).

وفي رواية أخرى قال: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل...»(٣).

وكذلك قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة باب أخذ صدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٣/٣٥٧ح١٤٩٦) من طريق أبي معبد عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى (١٣/٣٤٧ح ٧٣٧٢) من طريق أبي معبد عن ابن عباس.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/٥١ح ٣١) من طريق أبي معبد عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان باب ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ (١/٧٥ح ٢٥) من طريق واقد بن محمد عن أبيه عن ابن عمر، ومسلم: كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/٥٣ح ٣٦) من طريق زيد بن عبد الله عن ابن عمر.

وأخبر النبيﷺ أصحابه أن حق الله على العباد أن يوحدوا الله بالعبادة ويفردوه في ذلك، ويتجردوا من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، حيث قال لمعاذ بن جبل: «أتدري ما حق الله على العباد؟ »، قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟ »، قال: الله ورسوله أعلم. قال: «ألا يعذبهم »[1].

وأما في لغة العرب فإن معنى الرب غير معنى الإله. فالأول يدل على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية، والثاني يدل على المعبود بحق أو باطل كما سيأتي تفصيل ذلك في موضعه.

فالمقصود أن الكتاب والسنة واللغة دلت جميعها على أن هناك فرقاً بين الربوبية والألوهية.

وهذا خلاف ما عليه المتكلمون فهم خلطوا معنى الألوهية بالربوبية، وظنوا أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، فمن أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد صار عندهم موحداً، وليس الأمر كما ذهبوا إليه بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد دون غيره.

* * *

(١) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله (١٣/٣٤٧ح٧٣٧٣) ، ومسلم: كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/٥٩ح٥٠) كلاهما من طريق الأسود بن هلال عن معاذ بن جبل .

الفصل الثاني

اقسام التوحيد عند مخالفي اهل السنة

لقد وجدت طوائف من المخالفين لأهل السنة والجماعة في بيانهم لأقسام التوحيد، ومن أهم الطوائف التي جعلت للتوحيد أقساماً تخالف تقسيم أهل السنة له، ومنهم المتكلمون والصوفية وهذا بيان أقسام التوحيد عند كلٍّ من الطائفتين:

أولاً - المتكلمون:

ويقصد بهم جمهور الأشعرية والماتريدية، وهؤلاء قد سلكوا مسلكاً مجانباً لمسلك أهل السنة في تقسيم التوحيد.

فعند الماتريدية التوحيد ثلاثة أقسام:

(١) توحيد في الذات فالله لا قسيم له، أي لا يتبعض ولا يتجزأ[١].

(٢) وتوحيد في الصفات فالله لا شبيه له.

(٣) وتوحيد في الأفعال والصنع فالله لا شريك له.

وفي ذلك يقول الملا على قاري: «واحد في ذاته واحد في صفاته وخالق لمصنوعاته»[٢].

ويقول البابرتي: «وعبّر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال: هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات وواحد في ذاته لا قسيم له ولا تركيب فيه وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها»[٣].

ويقول الغنيمي الحنفي: «الواحد صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع:

الأول: الوحدة في الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام.

---

(١) انظر العقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني (ص٣٩).

(٢) ضوء المعانى (ص١٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للبابرتى (ص٢٩).

والثاني : الوحدة في الصفات والمراد بها انتفاء النظير له تعالى في كل صفة من صفاته.

والثالث : الوحدة في الأفعال والمراد بها انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات »[١].

وأما الأشعرية فقد سلكوا نفس مسلك الماتريدية في تقسيم التوحيد.

قال الشهرستاني : (إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له)[٢].

مناقشة منهج المتكلمين في تقسيم التوحيد :

يتضح مما سبق سياقه في بيان منهج الأشعرية والماتريدية في تقسيمهم للتوحيد أنهم منحرفون جداً عن منهج أهل السنة في بيان أقسام التوحيد، ولا يخفى أن من تدبر في توحيد الماتريدية يتبين له ما يلي:

أولاً : أنه لا يوجد عندهم توحيد الألوهية ولا اهتموا به مع أن توحيد الألوهية هو المقصد الأعلى والهدف الأسمى من خلق الكون وما فيه، ومن إنزال الكتب وإرسال الرسل.

ثانياً : اهتمامهم الكبير بتوحيد الربوبية فقد جعلوه هو المقصد الأعلى والغاية العظمى مع أنه أمر فطري لم يختلف فيه أهل الملل والنحل.

ثالثاً : قصدهم بتوحيد الذات أن الله لا يتجزأ ولا يتبعض بل هو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[٣].

وهذا حق، لكنهم أدخلوا فيه نفي كثير من الصفات كالوجه واليدين وأدخلوا فيه نفي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه فهم يظنون أنه لو ثبت لله هذه الصفات لكان الله مركباً مبعضاً فكلامهم هذا من قبيل كلمة حق أريد بها باطل.

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي (ص٤٨) .

(٢) الملل والنحل (١/ ١٤٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٠) .

ثانياً – الصوفية :

والصوفية كذلك من الطوائف التي خالفت منهج أهل السنة في هذا المضمار فذهبت طوائف من المتسبين إلى التصوف إلى تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

(١) **توحيد العامة** : وهو توحيد الألوهية.

(٢) **توحيد الخاصة** : وهو الذي يثبت بالحقائق. أي يثبت بالمكاشفات.

(٣) **توحيد خاصة الخاصة** : وهو التوحيد القائم بالقِدَم[١]. وهو المفضي إلى القول بالحلول والاتحاد، والفناء في ذات الله بزعمهم حتى تسقط التكاليف عن الموحد، ويفسرون قوله تعالى: **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾** على أنه هذا النوع من التوحيد.

مناقشة الصوفية في هذا التقسيم للتوحيد:

من الواضح أن الصوفية قد انحرفوا جداً عن مذهب أهل السنة ومنهجهم في تقسيم التوحيد، فهم جعلوا توحيد الألوهية الذي بُعث الرسل بتقريره والدعوة إليه، جعلوه توحيد العامة، وأدنى أنواع التوحيد. وأما النوعان الثاني والثالث فهما مفضيان إلى القول بالحلول والاتحاد كما سبق، ومقتضى تقسيم الصوفية هذا أن أصحاب التوحيد الثاني والثالث أعلى منزلة ومكانة من الأنبياء والمرسلين الذين لم يعرفوا هذا النوع من التوحيد، ولم يفنوا في ذات الله كما تزعم الصوفية، ولا تكلموا حول هذا التقسيم، فالأنبياء والرسل قد قصروا عن إدراك هاتين الدرجتين في التوحيد كما تزعم الصوفية، مع أن الله تعالى جعل كل من أعرض عن ملة إبراهيم عليه السلام مسفهاً لنفسه، فقال تعالى: **﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾** [البقرة: ١٣٠].

فكيف يتسق تقسيم الصوفية للتوحيد مع هذه الآية وغيرها مما يوضح أن أكمل الناس توحيداً إبراهيم ومحمد عليهما السلام، وهما لم يتكلما بتقسيم الصوفية هذا ولا ذُكر عنهم أدنى إشارة إليه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٧) .

الفصل الثالث

دلالة (لا إله إلا الله)

على التوحيد بكل أنواعه

كلمة (لا إله إلا الله) هي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وأساس التوحيد، وقد دلت هذه الكلمة على جميع أقسام التوحيد التي ذكرها أهل السنة والجماعة، وذلك على النحو التالي:

(أ) دلالتها على الألوهية :.

وذلك لأن معناها الحقيقي لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى، (فلا إله) نفت استحقاق العبودية عما سوى الله تعالى، و (إلا الله) أثبتت جميع أنواع العبادة لله وحده. فهذه دلالتها على توحيد الألوهية.

(ب) توحيد الربوبية :

أي انفراد الله تعالى بخصائص الربوبية، وقد دلت كلمة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية على سبيل التضمن، فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بالدلالة، وذلك لأنه لا يستحق أن يفرد بالعبادة إلا من كان منفرداً بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ [فاطر: ٣] فدلت الآية على أنه لا يستحق أن يعبد إلا المنفرد بالملك والرزق وغيره من أمور الربوبية، وهكذا نجد أن كلمة التوحيد دالة على توحيد الربوبية على سبيل التضمن.

(ج) توحيد الأسماء والصفات :

وذلك لأن إثبات وجود الله أصلاً يعد إثباتاً لأسمائه وصفاته، وذلك لأنه لا يتصور وجود ذات دون أسماء وصفات، لأن هذا لا يصح إلا في حق الممتنعات والمعدومات وقد نصَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على دلالة كلمة لا إله إلاالله على جميع أنواع التوحيد

حيث قال رحمه الله تعالى: «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر »[1].

* * *

(١) نقلاً عن كتاب التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٩) .

الفصل الرابع

مناقشة دعوى أن تقسيم التوحيد ليس له حقيقة شرعية

لقد ذهب بعض الناس - هداهم الله - إلى أن هذا التقسيم لأنواع التوحيد، والذي درج عليه أهل السنة إنما هو تقسيم اصطلاحي لتقريب القضية وتنظيم دراستها، وليس لهذا التقسيم أصل ولا حقيقة شرعية ولهؤلاء نقول: إن أنواع التوحيد قد دلت عليها دلائل الكتاب والسنة ولا شك، وقد أثبت ذلك جماعة من السلف، ومن تبعهم من المتأخرين.

(١) فمن أدلة توحيد الربوبية قول الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ، وقوله: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]، وقوله: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤]، وقوله: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢] وغيرها من الآيات.

(٢) ومن أدلة توحيد الألوهية قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة: ٢] لأن الله معناه المألوه المعبود، وقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وقوله: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ [الزمر: ١٤، ١٥] وقوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥] وغيرها من الآيات.

(٣) ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات قوله تعالى: ﴿ الرحمن الرحيم مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤]، وقوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠] ، وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحسنى ﴾ [طه: ٨]، وقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وآخر سورة الحشر، وغيرها من الآيات.

ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة قول الله تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

يقول الشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله مبيناً دلالة الآية على ذلك: «. . . . . اشتملت (أي الآية) على أصول عظيمة على توحيد الربوبية وأنه تعالى رب كل شيء وخالقه ورازقه ومدبره، وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنه تعالى الإله المعبود وعلى أن ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: ﴿ فَاعْبُدْهُ ﴾ الدالة على السبب أي فكما أنه رب كل شيء فليكن هو المعبود حقاً فاعبده ومنه: الاصطبار لعبادته تعالى وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى فيدخل في هذا أعلى أنواع الصبر وهو الصبر على الواجبات والمستحبات والصبر على المحرمات والمكروهات، بل يدخل في ذلك الصبر على البليات فإن الصبر عليها وعدم تسخطها والرضى عن الله بها من أعظم العبادات الداخلة في قوله: ﴿ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾، واشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات عظيم النعوت جليل القدر

وليس لـه في ذلك شبـيه ولا نظيـر ولا سمي؛ بل قد تـفرد بالكـمال المطلـق من جميـع الوجوه والاعتبارات »[1].

وفي بيان دلالة القرآن علـى أنواع التوحيد يقول العلامة ابن القيـم بعد أن ذكر أن كل طائفة تسمي باطلهم توحيدًا: «وأما التوحيد الذي دعـت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في المطلب والقصد.

فالأول : هو حقيقـة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفـاته وأفعاله وعلوه فوق سـماواته على عرشه وتكلمه بكتـبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضـائه وقدره وحكمه. وقد أفصح القرآن عـن هذا النوع جد الإفـصاح. كما في أول سورة الحـديد وسورة طه وآخر سـورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها وغير ذلك.

النوع الـثاني : مثل ما تضـمنته سورة ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ** ﴾ وقـوله: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأول سورة تنـزيل الكتاب وآخرهـا، وأول سورة يونـس ووسطهـا وآخرها، وأول سـورة الأعراف وآخرهـا، وجملـة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد الـعلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لاشريك له، وخلع كل ما يعبد من دونـه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بـطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحـيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحـيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهـو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنـيا من النكال وما يحـل بهم في العقبى مـن العذاب فهو خبر عمـن خرج عن حكم التوحيد[2].

---

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص ٤٤ ، ٤٥) .

(٢) قال الشوكـاني رحمه الله في مقدمة كـتابه القيم « إرشاد الثـقات إلى اتفاق الشرائـع على التوحيد والمعـاد والنبوات » (ص٤) ، واعلم أن إيراد الآيات القرآنية على إثبات كل مقصد مـن هذه المقاصد ، وإثبات الشرائع عليها ، لا يحتاج إليه من يـقرأ القرآن العظيم ، فـإنه إذا أخذ المصحف الكـريم وقف على ذلك في أي موضوع شـاء ، ومن أي مكان أحب وفي أي محل منه أراد ، ووجده مشحوناً به من فاتحته إلى خاتمته .

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ توحيد ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ توحيد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توحيد ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد ...... »[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول : توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى: ﴿ ولَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ومَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ومَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]. وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ومَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] تجاهل من عارف أنه عبد مربوب، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقوله: ﴿ وجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿ومَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً.

الثاني : توحيده جل وعلا في عبادته. وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلا الله» وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت. ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٩ ، ٤٥٠) .

الصلاة والسلام. وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا واحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿ ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿ ومَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿ واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إنما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد، لشمول كلمة «لا إله إلا الله» لجميع ما جاء في الكتب، لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده. فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث : توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته. وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:

الأول : تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

والثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] مع قطع الطمع عن درك كيفية الاتصاف، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ومَا خَلْفَهُمْ ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠] وقد قدمنا هذا المبحث مستوفى موضحاً بالآيات القرآنية في سورة الأعراف.

ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير. فإذا أقروا بربوبيته احتج

بها علـيهم على أنه هو المـستحق لأن يعبد وحـده. ووبخهم منكراً عـليهم شركهم بـه غيره، مع اعترافهم بـأنه هو الرب وحده، لأن من اعترف بأنـه الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هـو المستحق لأن يُعبد وحده.

ومن أمثلة ذلك قـوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ فلما أقـروا بربوبيته وبخهـم منكرًا عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

ومنها قولـه تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥] فلما اعترفوا وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٥] ثم قال: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنـون: ٨٦ - ٨٧]، فلما أقروا وبخـهم منكراً عـليهم شركهم بـقوله: ﴿ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٧] ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمـنون: ٨٨ - ٨٩] فلما أقروا وبخهم منـكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٩].

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦] فلما صح الاعتراف وبخـهم منكراً علـيهم شركهم بـقوله: ﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا ﴾ [الرعد: ١٦].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧] فـلما صـح إقرارهم وبخهم منكراً علـيهم بقـوله: ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١] فلما صح اعترافهم وبخـهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] فلما صح إقرارهم وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥] فلما صح اعترافهم وبخهم الله منكراً عليهم بقوله: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠] ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم البتة غيره: هو أن القادر على خلق السموات والأرض وما ذكر معها خير من جماد لا يقدر على شيء. فلما تعين اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠]، ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل: ٦١] ولا شك أن الجواب الذي لا جواب غيره كما قبله. فلما تعين اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦١]، ثم قال جل وعلا: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢] ولا شك أن الجواب كما قبله. فلما تعين إقرارهم بذلك وبخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]، ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [النمل: ٦٣] ولا شك أن الجواب كما قبله. فلما تعين إقرارهم بذلك وبخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٦٣]، ثم قال جل وعلا: ﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٤] ولا شك أن الجواب كما قبله. فلما تعين الاعتراف وبخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤]، وقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠] ولا شك أن

الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا، أي ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء. فلما تعين اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله: ﴿ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

والآيات بنحو هذا كثيرة جداً. ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع: أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار، لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار، لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار، لأنهم لا ينكرون الربوبية، كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه.

والكلام على أقسام التوحيد ستجده إن شاء الله في مواضع كثيرة من هذا الكتاب المبارك، بحسب المناسبات في الآيات التي نتكلم على بيانها بآيات أخر »[1] اهـ كلامه رحمه الله.

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد حفظه الله: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء »[2] .

وهكذا يتضح أن التقسيم لأنواع التوحيد من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله تعالى، وليست مجرد اصطلاح عند بعض العلماء كما ادعى البعض.

* * *

(١) أضواء البيان (٣/ ٤١٠ - ٤١٤) .

(٢) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص٣٠) .

الفصل الخامس

مناقشة دعوى أن أقسام التوحيد

ليست من الثوابت وأنها محدثة في القرن السابع

لقد ذهب طائفة من الناس إلى أن تقسيم التوحيد إلى الأقسام سالفة الذكر هو أمر ليس من الثوابت ؛ بل يمكن أن يدخله التغيير والتعديل، والزيادة والنقصان، بدليل أن بعض السلف قسموه إلى قسمين والبعض إلى ثلاثة أصناف، وقالوا بأنه في زمن من الأزمان كان التركيز على توحيد الأسماء والصفات لأن أكثر الانحراف كان في باب الأسماء والصفات، وفي زمن آخر كان التركيز على توحيد الألوهية أكثر لأن الانحراف في باب الألوهية كان أكثر انتشاراً، وهكذا.

وقالوا كذلك بأنه يمكن أن تضاف أقسام أخرى إلى أقسام التوحيد المذكورة سلفاً عن أهل السنة، كذلك زعموا أن هذا التقسيم محدث وأنه إنما ابتدعه ابن تيمية في القرن السابع، ثم تنوقل عنه فيما بعد، ودرج عليه الناس من بعده وليس له أصل في كلام السلف.

وللرد على هؤلاء نقول:

(أ) إن أقسام التوحيد حقيقة شرعية مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة كما سبق في الفصل الرابع ، فالتوحيد محصور في هذه الأنواع كما قرر ذلك كثير من العلماء سلفاً وخلفاً، وذلك من خلال النصوص الشرعية، فكيف نستدرك عليهم ونجهلهم حين ندعي أن ذلك ليس من الثوابت، وأنه قابل للزيادة والنقص وهذا تجهيل للسلف، كما سبق، واتهام لهم بالقصور، وكل هذا له من الأضرار والعواقب الوخيمة ما لا يخفى.

(ب) أقسام التوحيد على ما نقل عن أهل السنة محدثة في القرن السابع على يد ابن تيمية رحمه الله تعالى بل لقد ورد هذا التقسيم في كلام أهل العلم قبل ابن تيمية رحمه الله بقرون عديدة، وإلى أصحاب هذه الدعوى الباطلة نقدم نماذج من كلام هؤلاء الأئمة الدال على أن هذا التقسيم كان معروفاً قبل شيخ الإسلام، وقد أكد ورود هذا التقسيم عنهم العلامة بكر أبو زيد حفظه الله حيث قال: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده

وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء »[1].

ومن هذه النصوص :

(١) قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء[2].

وقد أشار إليها الطحاوي في عقيدته وذلك كما سبق في الفصل الأول من هذا الباب.

وقرر ذلك ابن أبي العز[3] والملا علي القاري وهو من الحنفية[4].

(٢) قال الإمام ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ) رحمه الله تعالى في كتابه (الإبانة) ما نصه: « . . . وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

الأول : أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني : أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة.

والثالث : أن يعتقد موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص ٣٠) .
(٢) الفقه الأبسط (ص٥١) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١) .
(٤) شرح الفقه الأكبر (ص١٥) .

إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده.

ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.

فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربوبيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا ها هنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما . . .»[1].

(٣) قال الإمام ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه (روضة العقلاء) : «الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانُّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته . . . .».

(٤) قول ابن أبي زيد القيرواني المالكي (ت ٣٨٦هـ) رحمه الله تعالى في مقدمة عقيدته حيث قال: «من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان بأن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير ولا ولد له ولا والد له، ولا صاحبة له ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون . . إلى أن قال: . . . . تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غناً، خالقاً لكل شيء، الا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم . . . . . .».

فذكر الأقسام الثلاثة والنقول في هذا كثيرة.

والنصوص غير ما ذكر كثيرة، وهي تدل دلالة واضحة على أن هذا التقسيم كان معروفاً قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومن تبعوه من بعده، وفي هذا أبلغ ردٍّ على من زعموا هذا الزعم السخيف واعتبروا ذلك تقسيماً محدثاً ليس له سلف.

---

(١) الإبانة لابن بطة (٦٩٣ - ٦٩٤) من النسخة الخطية ، وفي مختصره (ق١٥٠) .

الفصل السادس

مناقشة دعوى

ان اقسام التوحيد لا تستلزم الولاء والبراء

لقد ذهب طوائف من النـاس إلى أن تقسيم التوحيد إلى نوعين أو ثلاثـة مسألة لا علاقة لها بالولاء والبـراء لأنها مجرد اصطلاحات فـقط لا حقيقة شرعيـة لها، ولذا فلا ينبغـي عقد الولاء والبراء عليها، ولهؤلاء نقول:

أولاً - تعريف الولاء والبراء وحكمها :

الولاء : مصدر والى يوالي ولاء وموالاة، والموالاة هي المحبة والنصرة والموافقة والمعاونة.

والولاء واجب للـه ورسوله وللمؤمنـين، كما قال تعالـى: «إنما وليكم الله ورسـوله والذين آمنوا » فيجب على المؤمن أن يحب المؤمنين ويعاونهم وينصرهم على أعداء الإسلام.

والبراء : هو المعاداة والكراهة والبغضاء.

والبراء واجب من الشرك وأهله، كما قال تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى ، تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الممتحنة: ٤].

ثانياً - تفاوت الولاء والبراء :

الولاء والبراء في الله تعالى من لوازم الإيمان، فالمـؤمن يحب كل مؤمن على قدر ما فيه من الإيمان والطاعة ويواليه على ذلك بحسبه، ويبـغض ما عنده من المعاصي والفسوق إن وجد، ويتبرأ من ذلك بحسبه حتى يصبح الشخص مؤمناً تقيّـاً مطيعاً متبعاً من كل وجه فيستحق الموالاة من كل وجه، أو يكون الشخص مفارقاً للإيمان والتوحيد والـطاعة من كل وجه فيستحق البراء والمعاداة من كل وجه، وهكذا يتضح أن الولاء والبراء يتفاوت من شخص لآخر وفي حق الشخص الواحد من حين لآخر، وعلى حسب حاله.

ثالثاً - بيان شبهة حول أقسام التوحيد والرد عليها :

أما إذا كان المقصود أن التقسيم الذي ذهب إليه أهل السنة لا يعقد عليه الولاء والبراء وأنه يمكن استبداله بتقسيمات المتكلمين أو الصوفية ونحوهم فهذا باطل مردود، وذلك لأن كلمة التوحيد كما ذكرنا تشتمل على الدلالة على جميع أنواع التوحيد الثلاثة، فمن نازع في هذه الأنواع واستبدلها بغيرها من التقسيمات المجانبة للصواب البعيدة عن الحق، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وابتدع في الدين ما لم يأذن به الله، وخالف هدي المسلمين في اهتمامهم بتوحيد الألوهية مثلاً، أو غير ذلك مما يترتب على مخالفة هذا التقسيم الوارد عن أهل السنة والجماعة، فنحن لا نعد الولاء والبراء لأجل الألفاظ فقط، إنما لأجل ما يترتب على هذه المخالفة من مخالفة الحق، وتجهيل السلف وإهمال قسم من أقسام التوحيد التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وشهدت لها. ومجانبة هدي الرسول ﷺ ، والابتداع في الدين بالزيادة أو النقصان على هذه الأنواع واستبدال شيء منها بغيره، وما يترتب على الأنواع المحدثة المخترعة من المفاسد كما سبق بيانه في الفصل الثاني.

وأما مجرد المخالفة في الألفاظ فقط دون المعاني والدلالات فهذه وإن كانت لا توجب البراء المطلق، لكننا نجانب كل تقسيم غير هذا حتى ولو كان بمجرد استبدال الألفاظ بغيرها، وذلك لأن هذه الألفاظ التي اختارها السلف هي أدل على هذه المعاني من غيرها، وإلا ما تناقلها السلف قرناً بعد قرن واصطلحوا عليها، فاستبدالها بغيرها فيه نوع استدراك على السلف في أمر قد استقر عندهم. لذا فإننا لا نقبل تقسيماً غير هذا ممن جاء به، والله أعلم.

ثم إننا نسأل من يوافق أهل السنة في تعريف التوحيد وحقيقته ومعانيه وأموره، ما الداعي للإعراض عن هذه التقسيمات والدعوة إلى استبدالها بغيرها ما دامت مأثورة عن السلف دالة على الحق في الحقيقة؟ وإلا فما بديلها عندكم ويكون أكثر منها دلالة على هذه المعاني، إذا كنتم تريدون تضييق شقة الخلاف مع أهل البدع والأهواء فأنتم مخطئون، لأنهم لا يكفيهم مجرد التخلي عن الألفاظ، لأنهم يخالفونكم في أصل المعاني. أضف إلى ذلك أن استبدال الألفاظ بغيرها قد يجر إلى تبديل المعاني، والدلالات وفي هذا من الفساد ما لا يخفى، والله أعلم.

* * *

الفصل السابع

الرد على دعوى أن توحيد الحاكمية

نوع مستقل من أنواع التوحيد

يذهب بعض الفضلاء من أهل العلم والدعاة وأصحاب الفكر الإسلامي إلى اعتبار أن هناك نوعاً من أنواع التوحيد ينبغي أن يضاف إلى الأنواع سالفة الذكر، ويسمونه توحيد الحاكمية، ويقصدون به أنه يجب تطبيق شرع الله تعالى والتحاكم إليه، ويجعلون ذلك نوعاً مستقلاً من أنواع التوحيد، وللجواب عن تلك الدعوى نقول:

لا شك أنه يجب على المسلم أن يتحاكم إلى شرع الله تعالى، وأن يرضى بحكم الله ويسلم له، كما قال تعالى: ﴿**ومن لم يحكم**﴾ وقال: ﴿**وأن احكم بينهم**﴾ ونفى الإيمان عمن لم يفعل ذلك فقال: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون**﴾.

فلا شك في أن الإيمان لا يتم إلا بهذا التحاكم إلى الله ورسوله، بل إن الإعراض عن هذا الحكم وتفضيل غيره عليه يكون ناقضاً من نواقض الإيمان، والتوحيد لا يتم إلا بذلك.

لكن ادعاء أن هذا نوع من أنواع التوحيد قسيم للأنواع الأخرى ومستقل عنها، فهذه دعوى نخالفها لأمور:

الأول : أن فيها إضافة نوع جديد لم يعتبره السلف نوعاً مستقلاً، ونحن نعترض على إضافة أقسام جديدة للتوحيد غير ما ذكره السلف الذين كانوا أعلم الناس وأفقههم، وهم الذين تكلموا في كل مسائل التوحيد حتى مسألة الحاكمية، وحتى لا يقوم كل من شاء ليزيد في أنواع التوحيد ما شاء وقد يكون ما زداه متضمناً في أقسام التوحيد الأخرى كما هو الحال هنا.

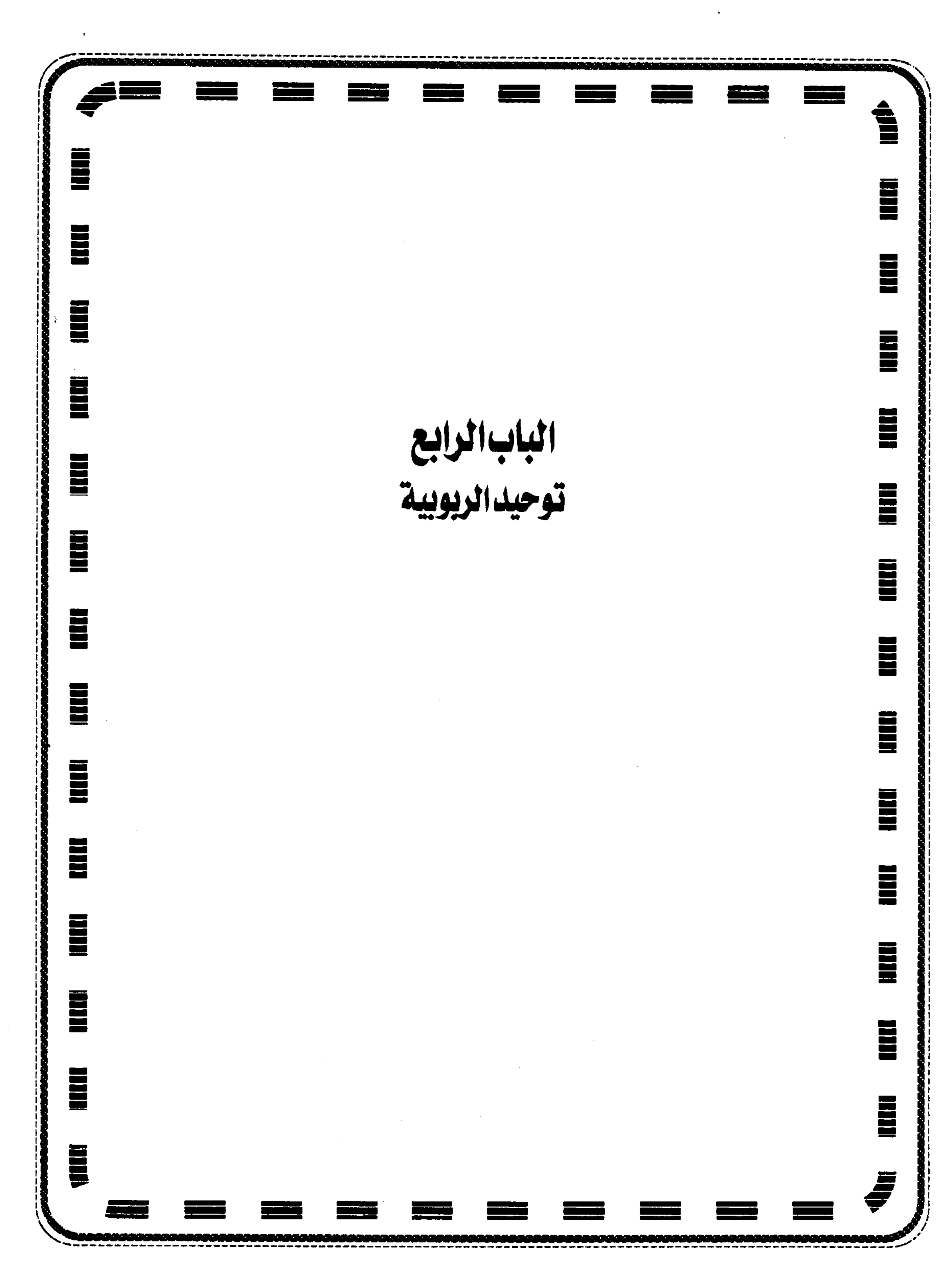
الثاني : أن ما قصدوه من أمر الحاكمية متضمن في أقسام التوحيد التي ذكرها أهل السنة، فأمور الحاكمية إن كان يقصد بها إثبات أن الحكم في الخلق حق لله تعالى فهذا من معاني توحيد الربوبية، وهي إفراد الله تعالى بخصائص الربوبية كالخلق والملك والرزق والتدبير والحكم

وغيرها، والحكم يدخل في التدبير، وكما قال تعـالى: ﴿والله يحكم﴾ وإن كان المقصود بالحاكمية وجوب أن يتحاكم الناس إلى الله تعالى ورسولـه ﷺ فهذا من توحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، فإن التعلق بالله تعالى ليحكم بين الناس هو من توحيد الألوهية، فثبت أن ما ذكر من أمور الحاكمية موجود في أنواع التوحيد التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة بحمد الله، لذا فلا داعي لتخصيص الحاكمية بإفرادها بالذكر واعتبارها نوعاً مستقلاً من أنواع التوحيد.

الثالث : أن هذه الإضافة لأقسام التوحيد تحمل نوعاً من الاستدراك على السلف في أمر قد استقر عندهم بحيث يتضمن ذلك تجهيلاً لهم، أو زعـماً بأنهم بأجمعهم لم يتفطنوا إلى هذا النوع ولم يعرفوه، ولم يفردوه بالذكر رغم كونه مستحقاً لذلك.

لكل هذا فإننـا نعارض إيجاد قسم رابع للتوحـيد يسمى توحيد الحاكميـة أو غيره، بل وكما سبق في الفصـل الخامس من هذا الباب، فإننا نعـتبر أن أقسام التوحيد التي درج أهـل السنة على إثباتها هي من الثوابت التي لا مجال للعبث فيها، والله أعلم.

* * *



الباب الرابع

توحيد الربوبية

تقرير توحيد الربوبية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول :

معنى التوحيد .

المبحث الثاني :

خصائص توحيد الربوبية .

المبحث الثالث :

منهج السلف في تقرير توحيد الربوبية .

المبحث الرابع :

ما ينقض توحيد الربوبية .

المبحث الأول

معنى توحيد الربوبية

(١) توحيد الربوبية لغة :

توحيد الربوبية مركب من كلمتين: التوحيد وقد تقدم، أما الربوبية فهي مأخوذة من الرب. وكلمة (رب) في اللغة تطلق على المعاني الآتية:

المعنى الأول : مالك الشيء وصاحبه :

قال الجوهري[١]: (رب كل شيء مالكه)[٢].

وقال الأزهري[٣]: (كل من ملك شيئاً هوربه. يقال: هو رب الدابة ورب الدار)[٤].

المعنى الثاني - المَلِك :

قال الأزهري في قوله تعالى: ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] ، (أي عند مَلِكِك).

وقال ابن الأثير[٥]: (فإنه خاطبه على المتعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونه به)[٦].

---

(١) هو إسماعيل بن حماد بن نصر الجوهري التركي قال عنه ابن العماد :

(اللغوي أحد أئمة اللسان كان له جودة في الحفظ) .

مات سنة ٣٩٣هـ وقيل مات في حدود سنة ٤٠٠ هـ

شذرات الذهب (٣/ ١٤٢) ، وانظر ترجمته في معجم الأدباء (٦/ ١٥١) .

(٢) الصحاح (١/ ١٣٠ - ١٣٢) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي قال عنه ابن العماد :

(اللغوي النحوي الشافعي صاحب تهذيب اللغة وغيره من المصنفات الكبار الجليلة المقدار) مات سنة ٣٧٠ هـ شذرات الذهب (٣/ ٧٢) .

(٤) تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٦ - ١٨٤) .

(٥) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ثم الموصلي قال عنه الذهبي : (القاضي الرئيس البارع الأوحد البليغ) توفي سنة ٦٠٦هـ .

سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٩) وانظر ترجمته في شذرات الذهب (٢٢٥) .

(٦) النهاية (٢/ ١٧٩) .

المعنى الثالث - السيد المطاع :

قال الجوهري : (ربّيتُ القوم أي كنت فوقهم)[١].

وقال ابن منظور[٢]: (والعرب تقول لأن يـربّنِي فلان أحب إليَّ أن يربّنِـي فلان، يعني أن يكون رباً فوقي وسيداً يملكني)[٣].

المعنى الرابع - التربية :

قال الراغب الأصفهاني[٤]: (الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال ربّه ورباه وربيبه)[٥].

الخامس - المصلح للشيء :

قال ابن فارس: (الرب: المصلح للشيء، يقال رب فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها[٦].

(٢) توحيد الربوبية اصطلاحاً :

توحيد الـربوبية هو الإقرار بـأن الله تعالى رب كل شـيء ومالكه وخالقـه ورازقه، وأنه هو

---

(١) الصحاح (١/ ١٣٠) .

(٢) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري قال عنه الذهبي : (كان عنده تشيع بلا رفض) وقال عنه ابن حجر : (عمر وكبر وحدث فأكثروا عنه) .

وقال الصفدى : (جمع في اللغة كتاباً سماه لسان العـرب جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح) مات سنة ٧١١هـ الدر الكامنة (٤/ ٢٦٢- ٢٦٣) وانظر ترجمته في وفاة الوفيات (٢/ ٢٦٥) .

(٣) لسان العرب (١/ ٣٩٩) .

(٤) هو الحسين بن مـحمد بن المفضل الأصبهانـى الملقب بالراغب، قال عنـه الذهبي : (العلامة الماهر المحقـق الباهر أبو القاسم صاحب التصانيف كان من أذكياء المتكلمين ولم أظفر له بوفاة) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠) .

انظر ترجمته فى بغية الوعاة (٢/ ٢٩٧) . .

(٥) مفردات غريب القرآن (ص ١٨٤) .

(٦) هو أحمد بن فارس بن زكريا الـقزويني المعروف بالرازي المالكي قال عنه الذهبي: الإمـام العلامة المحدث نزيل همدان وصاحـب كتاب المجـمل مات سـنة ٣٩٥ هـ ، سـير أعلام الـنبلاء (١٧/ ١٠٣) انـظر ترجـمته فـى معجـم الأدباء (٤/ ٨٠)، والمنتظم (٧/ ١٠٣) .

المحيي والمميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على كل شيء ليس له في ذلك شريك[1].

والمناسبة بين هذا المعنى والمعنى اللغوي: أن كل معاني لفظ (الرب) في اللغة صادقة على الله سبحانه وتعالى، فهو المربي للأشياء الذي ينميها وينقلها في أطوار مختلفة حتى يبلغ بها ما قدر هو لها، وهو المالك لها والسيد عليها والمدبر لمصالحها والقائم بحفظها قيوم السموات والأرض ومستحق العبادة حقاً بربوبيته للخلق، لهذا كانت شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف مختصة به سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد من خلقه، ومن جعل شيئاً من ذلك لغير الله فقد ناقض نفسه وارتكب باباً من أبواب الشرك[2].

* * *

(١) انظر تيسير العزيز الحميد (ص٣٣) .

(٢) انظر كتاب دعوة التوحيد للهراس (ص٣١ ، ٣٢) .

المبحث الثاني

خصائص توحيد الربوبية

(١) أن توحيد الربوبية دليل على توحيد العبادة فإن الله سبحانه وتعالى احتج على المشركين الذين أخلوا بتوحيد الألوهية بإقرارهم بالربوبية كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا والسَّمَاءَ بِنَاءً وأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] .

فأمر سبحانه وتعالى بعبادته وذكر البرهان على أنه مستحق للعبادة وهو قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ وهو برهان على بطلان إلـهية ما سواه ولهذا قال: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إلزاماً لهم بما يقرون به.

(٢) أن إقرار الناس بالربوبية أسبق من إقرارهم بتوحيد الألوهية، وفي ذلك يقول ابن تيمية: (ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم إلى الإله المعبود وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة الوهيته . . .) إلى أن قال: (ولهذا إنما بعث الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو المقصود المستلزم الإقرار بالربوبية وقد أخبر عنهم أنهم: ﴿ ولَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]

﴿ وإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]

وقال: ﴿ وإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ومَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: ٣٢]

فأخبرهم أنهم مقرون بربوبيته وأنهم مخلصون له الدين إذا مسهم الضر في دعائهم

واستعانتهم، ثم يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم وكثير من المتكلمين إنما يقررون الوحدانية من جهة الربوبية، أما الرسل فهم دعوا إليها من جهة الألوهية)[1].

(٣) أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]

وقال المقريزي[2]: (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السماوات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الألوهية) إلى أن قال: (من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد في ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفترق الطرق بين المؤمنين والمشركين)[3].

فلأن الإقرار بالربوبية كان مسلماً به عند المشركين لم يرسل الله رسولاً لتحقيق هذا التوحيد، ولم تعرض له الكتب السماوية كما عرضت لتوحيد العبادة لأنه تحصيل حاصل .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/١٤ - ١٥) .

(٢) هو أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، قال عنه ابن حجر : (كان إماماً بارعًا مفتيًا متقنًا ضابطًا دينًا خيراً محباً لأهل السنة يميل إلى الحديث والعمل به حتى نسب إلى الظاهر حسن الصحبة حلو المحاضرة) مات سنة ٨٤٥ هـ .

(٣) تجريد التوحيد (ص ٢٠ ، ٢١) .

المبحث الثالث

منهج السلف في تقرير توحيد الربوبية

منهج السلف الصالح في تقرير الربوبية ﷺ أنهم أعرضوا عن مبحث الوجود والاستدلال عليه لأنه أمر مسلَّم بـه مركوز في فطر البشر، لا يكاد أحد ينازع فيه إلا شرذمـة قليلة من البشر، كالدهرية في القديم، والشـيوعية ومن سايرها من ملاحدة العصر. قال المُلاَّ علي القاري في بيانه لمنهج الإمام أبي حنيفة في تقرير الربوبية:

(أعرض الإمام عن بحث الوجود اكتفاء بما هو ظاهر في مقام الشهود. ففي التنزيل: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠]

﴿ ولَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]

﴿ فَأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]

فوجود الحق ثابت في فطر الخلق، كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى، ويومئ إليه حديث «كل مولود يولد على الفطرة»[1]، على فطرة الإسلام. وإنما جاء الأنبياء عليهم السلام لبيان التوحيد وتبيان التفريد.

ولذا أطبقت كلمتهم، وأجمعت حجتهم على كلمة لا إله إلا الله، ولم يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: الله موجود، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود، رداً لما توهموا وتخيلوا حيث قالوا: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ (٣/٢١٩، ح ١٣٥٩).

- ومسلم: كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/٢٠٤٧ ح ٢٦٥٨) كلاهما من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة...)..

هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣]، على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد، ثم العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع الذي هو الأصل . . . .)[1] .

بدلالة الفطرة :

وهذه في مقدمة الدلالات على أن الله فطر الخلق على الإقرار به وبوحدانيته، فما من مولود إلا يولد على هذه الفطرة كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠]

فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجود الرب الخالق، والإيمان به تعالى مغروس في طبيعة البشر وفي شعور كل عاقل وضميره، وذلك لما وقر في نفوسهم من عجز المخلوقين عن الخلق والرزق والتدبير والملك. (فدلالة الفطرة على وجود الخالق مركوزة في كل نفس مؤمنة أو كافرة، والنفوس بطبعها تحسها وتشعر بها وإن غابت عنها في بعض الأحيان لسبب طارئ، فسرعان ما تجد نفسها مضطرة إلى اللجوء إليها عند الشدائد. ولو لم تكن النفوس مفطورة على هذه المعرفة لما تطلعت إليها بل لم تكن مطلوبة لها وصِدْقُ هذا ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2]، ولم يقل يسلمانه لأن الإسلام موافق للفطرة[3].

---

(١) شرح الفقه الأكبر للقاري (ص ١٧) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٣/ ٢١٩ ، ١٣٥٩) ، ومسلم : كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/ ٢٠٤٧ ح ٢٦٥٨) كلاهما من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة .

(٣) انظر بحث دليل الفطرة في درء التعارض (٨/ ٣٥٤ ، ٤٦٨) ، وكتاب ابن تيمية وموقفه من التأويل (ص٣٣٠) .

هذا وقد رجح كثير من السلف أن معرفة الله تعالى ممكنة بالفطرة من غير دليل، بمعنى أنه لو ولد إنسان بعيداً عن الناس، ولم تفسد فطرته بتعليم أبويه أو البيئة التي يعيش فيها، لأمكن أن يعرف الله بفطرته الصافية وبمساعدة عقله وتفكيره فيما خلق الله[1].

ومذهب جمهور أهل السنة والجماعة من السلف الصالح أن العقل وإن كان مدركاً لمعرفة الله، ولكنه غير موجب، فلا تتم الحجة على العبد بمجرد عقله ما لم تبلغه دعوة الرسل. دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥].

فهذه الآية صريحة في عدم تعذيب من لم تبلغه دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام. وهذه هي عقيدة السلف، فقد بوّب الإمام اللالكائي[2] رحمه الله في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) (سياق ما يدل من كتاب الله عز وجل وما روي عن رسول الله ﷺ على أن وجوب معرفة الله تعالى وصفاته بالسمع لا بالعقل) ثم قال: (وهذا مذهب أهل السنة والجماعة)[3]. فالذي في شاهق الجبال ولم تبلغه الدعوة ولم يوحد الله فهو معذور وليس بمكلف، لأن التكليف لا يكون إلا بالشرع ولا تتم حجة الله على عباده إلا به.

وكذا استعمل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى وهو من أئمة السلف دلالة الفطرة في إثبات صفة من صفات الله تعالى ألا وهي صفة العلو، حيث قال: (والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء ......)[4].

فالنفوس فطرت على أن الله تعالى في العلو لا في السُّفل. واستدل الإمام أبو حنيفة على

---

(١) انظر كتاب العقائد السلفية شرح الدر السنية (ص ٥٣) بتصرف .

(٢) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي ، قال عنه الذهبي : (الإمام الحافظ المفتي) وقال عنه الخطيب ، كان يفهم ويحفظ كتابا في السنن وكتابا في شرح السنة إلى الدينوري فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ٤١٠ هـ تاريخ بغداد (١٤/ ٤٧٠) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ١٩٣ - ١٩٦) .

(٤) الفقه الأبسط (ص ٥١) .

ذلك بحديث الجارية التي أجابت النبي ﷺ حينما سألها: «أين الله؟» قالت: في السماء[1].

فأجابت بما وقر في فطرتها وجبلت عليه من أن الله في العلو، فأقرها النبي ﷺ وأمر بإعتاقها، ووصفها بأنها مؤمنة. هذه دلالة الفطرة على وجود الخالق ومعرفته، ويلاحظ أن هذه الدلالة ترتكز على نوعي الآيات في الأنفس والآفاق. ولقد لفت القرآن أنظار العباد إلى ذلك في مواضع كثيرة فيحسن تفصيل القول في دلالة هذه الآيات.

(١) دلالة الأنفس :

فمثالها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٥]

فهذه الآيات تلفت نظر الإنسان إلى أنه كان نطفة في الرحم فصارت النطفة علقة ثم مضغة ثم لحماً وعصباً وعظاماً وأعضاء وحواس.

ثم يخرج بعد تلك الأطوار بشراً سوياً صوّر على أحسن صورة وخلق على أحسن خلقة، ثم تتعاقب عليه الأحوال من كبر وصغر، وضعف وقوة، وجهل وعلم، ومرض وصحة، ثم الموت والفناء لكل حي. فلا بد لهذه التغيرات من مغير عالم قادر حكيم. وفي هذا المعنى يروى عن

---

(١) اخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد (٥/٤٤٨) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة (١/ ٣٨١ ح ٥٣٧) ، وأبو داود : كتاب الأيمان والنذور باب في الرقبة المؤمنة (٣/ ٥٨٧ ح ٣٢٨٢) ، والنسائي : كتاب الصلاة باب الكلام في الصلاة (٣/ ١٨) ، وابن أبي شيبة : في كتاب الإيمان (ص٢٧) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص٢١) ، وجميعهم من طريق عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي ومالك في الموطأ باب ما يجوز العتق في الرقاب الواجبة (٢/ ٧٧٦ح ٨) من طريق عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم بدل معاوية بن الحكم ، وقد عده العلماء وهماً من الإمام مالك لأنه خالف جميع رواته كما أنه ليس في الصحابة أحد بهذا الاسم ، انظر شرح الزرقاني على موطأ مالك (٤/ ٨٤) واخرجه أحمد (٢/ ٢٩١) ، وأبو داود كتاب الأيمان والنذور باب في الرقبة المؤمنة (٣/ ٥٨٨ ح ٣٢٨٤) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٢٣) جميعهم من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة ، وأورده الذهبي في العلو (ص١٦) وقال : (هذا حديث صحيح متواتر جماعة من الثقات عن معاوية السلمي) .

بعض أئمة السلف رحمهم الله تعالى أنه سئل: ما الدليل على الصانع؟ فأجاب: (أعجب دليل النطفة التي في الرحم والجنين في البطن، يخلقه الله في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة . . . فلما رأينا المرأة تلد مرة ذكراً ومرة أنثى ومرة توأمين وطوراً ثلاثة.

وتريد أن تلد فلا تلد، وتريد ألا تلد فتلد، وتريد الذكر فيكون الأنثى، وتريد الأنثى فيكون الذكر، على خلاف اختيار الأبوين، فعرفنا قطعاً قدرة قادر عالم حكيم).

(٢) دلالة الآفاق :

فمثالها قوله تعالى : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]

فهذه الآيات تحث الإنسان على التأمل والتفكر في المخلوقات العظيمة التي نراها ونشاهدها في عالمنا هذا من سماء مرفوعة وأرض مبسوطة وجبال منصوبة وغيرها مما خلق الله.

قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

فلو تأمل الإنسان هذه المخلوقات، وتأمل صنعها وإتقانها، لدلته وأرشدته إلى أن هناك خالقاً لهذه المخلوقات مدبراً لهذه الاكوان، وأنه حكيم عليم. وهذه الدلالة استدل بها بعض أئمة السلف رحمهم الله تعالى حينما أراد قوم من الملاحدة البحث معه في تقرير الربوبية، فقال لهم: (اخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتملأ من الطعام والمتاع وغيره

في نفسها وتعود بنفسها وترجع كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟ فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً، فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟...)[1].

وهذا المسلك الذي سلكه السلف في الاستدلال على الله تعالى بمخلوقاته وآثاره فطري لا يحتاج إلى تعليم واكتساب، يعرفه الحضري في حاضرته، والبدوي في باديته، لا يختلف فيه اثنان، بل قد استدل به الأعرابي حينما سئل عن الله فقال: (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ليل داجٍ، ونهار ساجٍ، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير)[2].

وهو كذلك شرعي دعا إليه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

فالأرض وما فيها من جبال وأنهار وأشجار ونبات تدل المتفكر فيها المتأمل لمعانيها على عظمة خالقها وسعة سلطانه وكذلك في نفس العبد من العبر والحكمة ما يدل أن له خالقاً حكيماً.

فالبشر على كثرتهم، خلقهم الله من نفس واحدة هي نفس آدم، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

أما كيفية خلقهم فهو طور بعد طور، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً، خلقهم في مكان ضيق، في بطون أمهاتهم، في ظلمات ثلاث.

فإذا تقرر أن الله واحد في خلقه وملكه لا شريك له، فهو واحد في ألوهيته لا شريك له.

هذا وقد ذكر الله تعالى دلالتي الأنفس والآفاق في آية واحدة كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٥ ، ٢٦) وشرح الفقه الأكبر للقارئ (ص ١٤) .
(٢) البيان والتبيين (١/ ١٦٣) .

يقول مؤلف كتاب إيثار الحق على الخلق شارحاً الآية وما تدل عليه من معان: (وقد جمع الله تعالى دلالتي النفوس والآفاق في - هذه الآية - ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا .....﴾ وذلك أنَّا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين ناطقين سامعين مبصرين مدركين بعد أن لم نكن شيئاً، وأن أول وجودنا كان نطفة قذرة مستوية الأجزاء والطبيعة غاية الاستواء بحيث يمتنع في عقل كل عاقل أن يكون منها خلق بغير صانع حكيم) إلى أن قال: (وبيانه أنه خلق من نطفة قذرة مستوية الطبيعة فكيف يكون منها ما يبصر، ومنها ما يسمع، ومنها ما يطعم، ومنها ما يشم، ومنها الصلب ومنها الرخو، ومنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، كما نبَّه الله عليه في كتابه الكريم. ونعلم أنها قد تغيرت بنا الأحوال وتنقلت بنا الأطوار تنقلاً عجيباً، فكنا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ودماً ثم عظاماً صلبة متفرقة في ذلك اللحم والدم وتقويهما وعصباً رابطة بين تلك العظام صالحة لذلك الربط لما فيها من القوة والمتانة، ثم تركب من ذلك آلات وحواس حية موافقة للمصالح .. ثم انظر إلى موضع العينين ما أشبهها بهما بعيداً مما يؤذيها مرتفعاً للتمكن من إدراك المبصرات في الوجه الذي لا يحتاج إلى تغطية باللباس من الجمال البديع فيهما، ولو كان في الرأس أو في الظهر أو في البطن أو غير ذلك ما تمت الحكمة ولا النعمة بهما. وكذلك كل عضو في مكانه . . . وأما دلالة الآفاق فما يحدث ويتجدد في العالم من طلوع القمرين والكواكب وغروبها عند دوران الأفلاك الدائرات والسفن الجاريات والرياح الذاريات . . وكذلك تغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق العجيبة المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال، الحاملة للماء الكثير المطفئ بطبعه للنار المضادة له، وما في الجمع بينهما وإناشئها وإنزال الأمطار منها بالحكمة البالغة . . . ثم ما في اختلاف الليل والنهار والفصول والأحوال . . .)[1].

فالمقصود أن الدلالات الدالة على تفرد الله بالربوبية والخلق والتدبير كثيرة، وبالجملة هذا النوع من التوحيد لا ينكره أحد إلا مكابر معاند، ومن المعلوم أن من اعترف بوجود الله من غير إفراد له بالعبادة فإن إيمانه هذا لا ينفعه بل لا بد مع هذا الإقرار أن يجرد التوحيد لله وحده. وسيأتي بيان ذلك في المبحث الآتي.

(١) إيثار الحق على الخلق (ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠) بتصرف .

المبحث الرابع

ما ينقض توحيد الربوبية

أولاً - الإلحاد:

وهو إنكار وجود الخالق الصانع سبحانه، وتكذيب الرسل، وتكريس فكرة أنه ليس هناك إلا الحياة الدنيا، وهذا ما شهد في زماننا عند الملحدين الشيوعيين، وعند الوجوديين والإباحيين وغيرهم.

ولم يعرف الإلحاد قديماً مذهباً ظاهراً موجوداً بين أجناس البشر، اللهم إلا من شرذمة قليلة من الدهرية[1]، الذين يجحدون الخالق المدبر العالم القادر، ويزعمون أن العالم يسير بنفسه بلا خالق، ويقولون ببقاء الدهر. قال الله تعالى إخباراً عنهم:

فمع إنكارهم للخالق، أنكروا البعث والنشور، وكذبوا الرسل من غير دليل لهم ولا برهان.

هذا وقد كانت تعقد مناظرات بين بعض الأئمة وبعض هؤلاء الملاحدة منها ما حدث بين أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الملاحدة كما جاء أن قوماً منهم أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية فقال لهم: (أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها وتعود بنفسها فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟.

فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً، فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟...)[2].

وقد ذكر المكي هذه المناظرة بصيغة أخرى مشابهة لها، وفيها أن الإمام أبا حنيفة قال لهم: (ما تقولون في رجل يقول لكم إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأمتعة، وقد

---

(١) انظر كتاب نهاية الإقدام (ص ١٢٣) ، ومجموع الفتاوى (٧/٦٣٨) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٥ ، ٢٦) وشرح الفقه الأكبر للقارئ(ص ١٤) .

احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس فيها ملاح يجريها ويقودها ويسوقها، ولا متعهد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل؟.

فقالوا: لا، هذا لا يقبله العقل، ولا يجيزه الوهم.

فقال لهم أبو حنيفة : فيا سبحان الله، إذا لم يجز في العقل وجود سفينة تجري مستوية من غير متعهد، فكيف يجوز قيام الدنيا على اختلاف أحوالها وتغيُّر أمورها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟ . . . . .)[1].

وكذلك وقعت مناظرة أخرى بين الإمام وملحد دهري ذكرها أبو الليث السمرقندي في شرحه للفقه الأكبر، وفيها أن الإمام ناظر دهرياً والقى عليه الحجة.

فقال الدهري: (إنما تغيرت الأشياء من حال إلى حال لأن بناءها على الطبائع الأربعة - رطوبة ويبوسة وبرودة وحرارة - فما دامت هذه الطبائع مستوية وصاحبها مستوياً، ومتى غلبت طبيعة منها على سائرها زالت عن الاستواء فزال استواء صاحبها أيضاً.

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: أقررت بالصانع والمصنوع، والغالب والمغلوب، من حيث أنكرت، لأنك قلت إحدى الطباع تغلب على سائرها، وسائرها تصير مغلوبة.

فثبت أن للعالم غالباً في الحكمة، فقد تعدينا عن مسألتكم فقلنا: الغالب ليس هو إلا الصانع جلَّت قدرته . . . . .)[2].

هذا ما حفظته المراجع من تلك المناظرات مع الملاحدة. وليست المشكلة مع هؤلاء إنكارهم للرب فقط بل إنهم لو اعترفوا بوجوده، فإن ذلك لا يكفي لدخولهم الإسلام، بل يصبح حالهم كحال المشركين الذين حاربهم الرسول ﷺ ، فإن إيمانهم بوجود الله لا ينفعهم حتى يوحدوا الله بالعبادة والطاعة.

---

(١) مناقب أبي حنيفة للمكي (ص ١٥١) .
(٢) انظر شرح الفقه الأبسط (ص ٢٣) ، والمطبوع خطأ باسم شرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي .

ثانياً - الشرك في الربوبية :

ويقصد به إثبات خالق مشارك لله تعالى في الخلق والإيجاد وإن لم يكن مساوياً له من كل وجه، لأنه ليس هناك طائفة أثبتت خالقين متساويين من كل وجه، ومن ذلك الدعوى بأن الشر ليس مخلوقاً لله تعالى كدعوة المعتزلة، وزعم أن العبد هو الخالق لفعل نفسه من أفعال الشر.

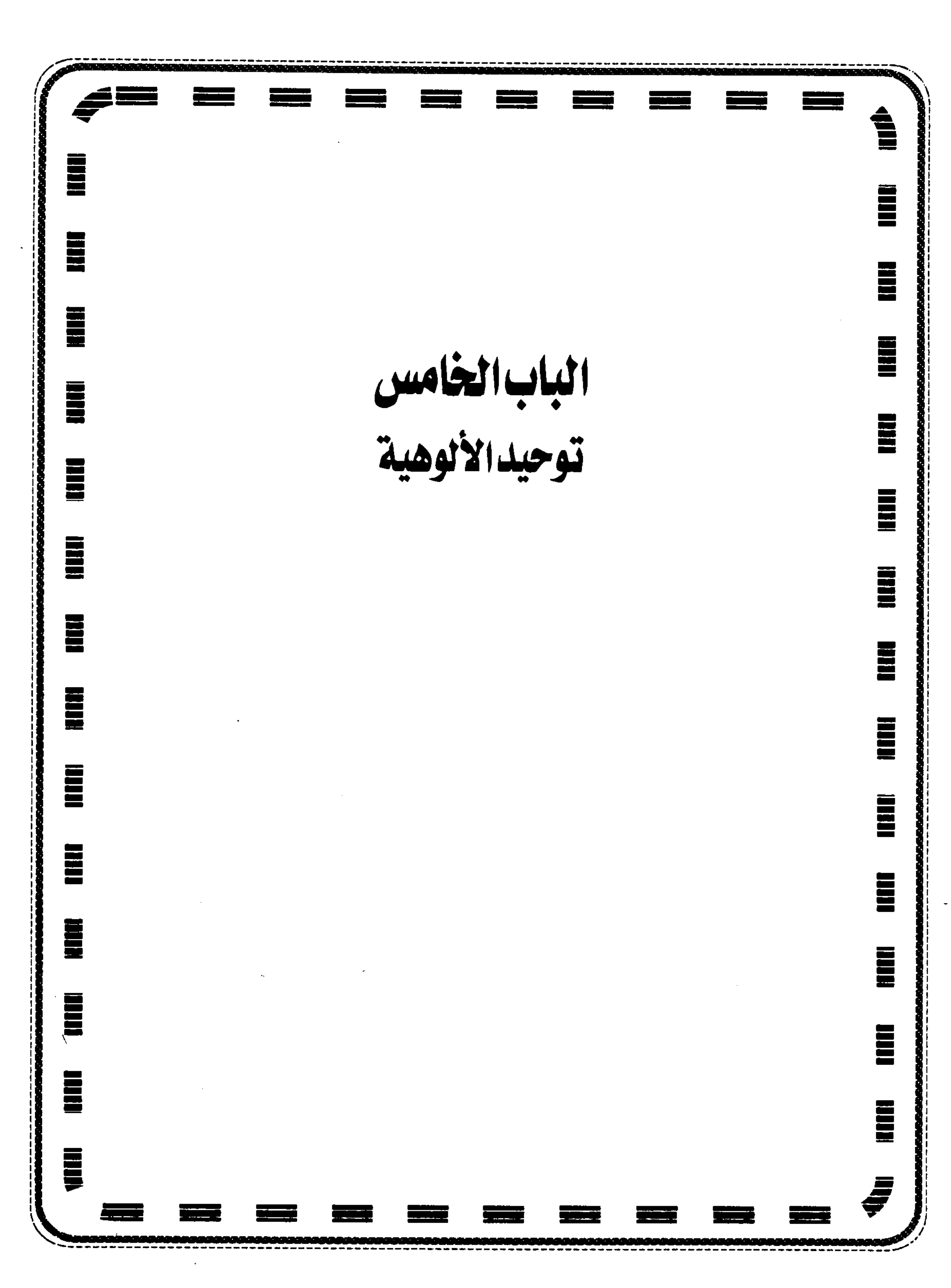
ومن ذلك اعتقاد بعض الصوفية في بعض الصالحين من أن لهم تصرفاً في الكون بالعطاء والمنع ونحوه ودعواهم بوجود أقطاب وأبدال وغير ذلك، فكل هذا من الإشراك بالله تعالى، إذ لا يستطيع غير الله تعالى كشف الضر ورفع البلاء وجلب النفع، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح.

ومن ذلك اعتقاد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله أو مساوٍ له، وإعطاء حق التشريع للبشر فيما لم يأذن به الله.

ومن ذلك اعتقاد بعض العوام أن للجن تصرفاً في الخلق، وقدرة على النفع والضر بغير مشيئة الله تعالى، بحيث أصبحوا يخافونهم، ويلجئون إليهم في الشدائد.

وغير ذلك من مظاهر الشرك كثير.

* * *



الباب الخامس

توحيد الألوهية

تقرير توحيد الألوهية

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول :

معنى توحيد الألوهية .

المبحث الثاني :

خصائص توحيد الألوهية .

المبحث الثالث :

معنى العبادة وشروطها وأنواعها .

المبحث الرابع :

ما يناقض توحيد الألوهية .

المبحث الخامس :

تقرير السلف لتوحيد الألوهية .

المبحث السادس :

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

المبحث الأول

معنى توحيد الألوهية

(١) توحيد الألوهية لغة :

توحيد الألوهية مركب من كلمتين: التوحيد وقد تقدم، أما الألوهية فهي لفظ منسوب إلى الإله، والإله كفعال، بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه،وإله جعلوه اسماً لكل معبود له . . وأَلِه فلان يأله عَبَدَ، وقيل تأله فالإله على هذا هو المعبود(١).

أَلِهَ بالفتح إِلهَة أي عبد عبادة . . . إله على فِعَال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود كقولنا إمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به(٢) ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ويَذَرَكَ وآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

بكسر الهمزة قال وعبادتك(٣).

والتأله التنسك والتعبد قال رؤبة(٤) :

لله در الغانيات المده   سبَّحن واسترجعن من تألُّهي(٥)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والإله المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الألوهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. . . .)(٦).

---

(١) القاموس المحيط (١/ ١٧٣) ، والمفردات للراغب (ص٢١) .

(٢) الصحاح : (٦/ ٢٢٢٣) .

(٣) الصحاح : (٦/ ٢٢٢٣) .

(٤) هو رؤبة بن العجاج التميمي البصري بضم أوله وسكون الواو بعدها موحدة قال عنه ابن حجر : (الراجز المشهور التميمي ثم السعدي لين الحديث فصيح مات بالبادية سنة ١٤٥ هـ) .

تقريب التهذيب (١/ ٢٥٣) ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٠) ، وطبقات الشعراء لابن قتيبة (٢/ ٥٩٤) ، وطبقات الشعراء للجمحي (٢/ ٧٦١) .

(٥) ديوان رؤبة (٢ ١٦٥) ط: دار الآفاق الجديدة ، وانظر الصحاح (٦/ ٢٢٢٤) .

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٤٦) .

هذا هو معنى الإله لغة وشرعاً.

أما عند أهل الكلام فالإله هو القادر على الاختراع والإيجاد، فيكون معنى لا إله إلا الله عندهم لا قادر على الاختراع إلا الله.

وفي ذلك يقول أحمد بن موسى الخيالي(1) في شرح كلام التفتازاني(2): (قوله لو أمكن إلهان أي صانعان قادران على الكمال بالفعل أو بالقوة)(3).

قلت: هذا تفسير لصفة الألوهية بصفة الربوبية، وهذاخطأ ظاهر فلم يأت الإله بمعنى المخترع لا في كتاب الله ولا في لسان العرب، ولم يقله أحد من أئمة اللغة المعروفين المعتبرين.

وإنما أتى الإله في القرآن بمعنى المعبود، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا واحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقوله تعالى: ﴿واتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ويَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿واتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وهُمْ يُخْلَقُونَ ولا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا ولا نَفْعًا ولا يَمْلِكُونَ مَوْتًا ولا حَيَاةً ولا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقوله تعالى: ﴿ ويَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ شَيْئًا ولا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

---

(١) هو أحمد بن موسى الخيالي الرومي قال عنه الشوكاني: (برع في العلوم العقلية وفاق أقرانه ودرس بمدارس الروم وكان دقيق الذهن باهر الذكاء أفحم أكبر علماء عصره بدقائق العلوم، وله مصنفات منها حواشي شرح العقائد) مات بعد سنة ٨٦٠هـ البدر الطالع (١/ ١٢١)، وانظر ترجمته في الفوائد البهية (ص٤٣).

(٢) هو مسعود عمر بن عبد الله التفتازاني نسبة إلى تفتازان بلدة بخرسان قال عنه ابن حجر: (العلامة الكبير صاحب شرحي التلخيص وشرح العقائد في أصول الدين وشرح الشمسية في المنطق، انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل سائر الأمصار لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم مات في صفر سنة ٧٩٢ هـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤/ ٣٥٠).

(٣) حاشية الخيالي على شرح العقائد (ص٥١).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

فالمشركون مقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه لا يقدر على الخلق والرزق والإحياء والإماتة إلا الله ومع ذلك لم يصيروا به مسلمين موحدين بل كانوا مع هذا الإقرار مشركين.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل الكلام: (يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر وهم مع هذا مشركون)[١].

ويقول كذلك: (وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن لا إله إلا هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه.

بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد، فهو إله بمعنى مألوه لا إله بمعنى إله، والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلهاً آخر)[٢].

وكذا في لغة عرب الجاهلية لم يأت الإله عندهم إلا بمعنى المعبود، وهو شامل للإله الحق

(١) التدمرية (ص١٨٠) ومجموع الفتاوى (٣/٩٨) وانظر أيضًا بيان تلبيس الجهمية (١/٤٧٨ - ٤٧٩) واقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٤٥ ، ٨٤٦) .

(٢) التدمرية (١٨٥ - ١٨٦) ، وضمن مجموع الفتاوى (٣/١٠١) .

وهو الله، والآلهة الباطلة التي يعبدونها من دون الله. وفي ذلك يقول الزمخشري: (والإله من أسماء الأجناس - كالرجل والفرس - اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق)(١).

وقد تقدم قول الفيروزآبادي: (إله كفعال بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً إلهٌ عند متخذِه)(٢).

نعم الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً قادراً على الاختراع، ومن لم يكن كذلك فليس بإله حقّاً وإن سمي إليها.

إذن فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، وليس معناها لا خالق ولا صانع إلا الله، لكنها تتضمن هذا المعنى. وكذلك ليس معناها لا معبود موجود إلا الله، لأن هذا يكذبه الواقع وهو ،وجود معبودات كثيرة بالباطل.

(٢) توحيد الألوهية اصطلاحاً:

توحيد الألوهية هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده.

فحقيقته إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة وسائر أنواع العبادة لله تعالى(٣).

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

---

(١) هو محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي اللغوي الشافعي صاحب كتاب بصائر ذوي التمييز وغير ذلك من المصنفات مات سنة ٨١٧هـ الضوء اللامع (١٠/ ٧٩).

(٢) القاموس المحيط (١/ ١٧٣).

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد (ص٣٦)، والكواشف الجلية (٤١٨).

ويستحسن في هذه المناسبة أن أذكر أبياتاً لابن القيم ضمنها تعريف توحيد العبادة وما يشترط له وهي من الكافية الشافية[1].

قال رحمه الله تعالى :

هذا وثاني نوعي التوحيد تو ... حيد العبادة منك للرحمن

فلا تكون لغيره عبداً ولا ... تعبد بغير شريعة الإيمان

فتقوم بالإسلام والإيمان وا ... لإحسان في سر وفي إعلان

والصدق والإخلاص ركنا ذلك ... التوحيد كالركنين للبنيان

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا ... د فلا يزاحمه مزاد ثان

لكن مراد العبد يبقى واحداً ... ما فيه تفريق لدى الإنسان

إن كان ربك واحداً سبحانه ... فاخصصه بالتوحيد مع إحسان

أو كان ربك واحداً أنشاك لم ... يشركه إذ أنشاك رب ثان

فكذاك أيضاً وحده فاعبده لا ... تعبد سواه يا أخا العرفان

والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ... لُ الجهد لا كسلاً ولا متوان

والسنة المثلى لسالكها فتو ... حيد الطريق الأعظم السلطان

فلواحد كن واحداً في واحد ... أعني سبيل الحق والإيمان

هذه ثلاث مسعدات للذي ... قد نالها والفضل للمنان

فإذا هي اجتمعت لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان

* * *

(١) ص (٢/٢٣٦) .

المبحث الثانى

خصائص توحيد الألوهية

الحكمة :

(أ) أنه الغاية من خلق الثقلين الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فتوحيد العبادة غاية محبوبة لله تعالى، لأجلها خلق الثقلين.

(ب) إنه المقصود الأعظم من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وهو مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأخبر عن رسله نوح، هود صالح، شعيب، أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[1].

(ج) أنه أول واجب على المكلف فإن توحيد الألوهية هو معنى لا إله إلا الله، وهي أول دعوة الرسل.

قال ابن أبي العز الأذرعي الحنفي: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان . . .».

---

(١) سورة الأعراف : الآيات ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ وسورة هود : الآيات ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤

(د) أن الشارع احتاط لهذا التوحيد أعظم الحيطة عن كل قول وفعل وقصد يكون شركاً أو وسيلة إلى الشرك كالرياء والحلف بغير الله والطيرة وبناء المساجد على القبور، والعكوف عندها.

وكذلك الألفاظ التي توهم الندية بين الله وبعض خلقه كقول القائل: ما شاء الله وشاء فلان. روى حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[1].

* * *

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٤) ، وأبو داود كتاب الأدب باب ما يقال خبثت نفسي (٥/ ٢٥٩ ح (٤٩٠) والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة (ص٥٤٤) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٩٠) ، والبيهقي في السنن (٣/ ٢١٦) ، جميعهم من طريق عبد الله بن يسار عن حذيفة وأورده النووي في كتابه الأذكار (ص٣٠٨) وقال : صحيح الإسناد .

المبحث الثالث

معنى العبادة وشروطها وانواعها

تقدم أن المراد بتوحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادات كلها، وأن من أسماء هذا التوحيد توحيد العبادة. فلا بد من الكلام عن العبادة وهو يشمل الفقرات التالية:

(١) معناها:

معنى العبادة لغة هو: التذلل والخضوع.

قال الراغب الأصفهاني: (العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل)[١].

وقال الجوهري: (العبادة الطاعة، والتعبد التنسك .. .. وأصل العبودية الخضوع والذل)[٢].

وقال ابن الأنباري: (فلان عابد، وهو الخاضع لربه المستسلم لقضائه المنقاد لأمره)[٣].

وقال ابن جرير: (العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة، وأنها تسمى الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام وذللته السابلة معبَّد)[٤].

هذا ما قاله أهل اللغة في كل كتبهم حول معنى العبادة، فنجد أن عباراتهم تكاد تكون متطابقة.

أما معنى العبادة في الاصطلاح:

فهي توحيد الله بالذل والخضوع مع كمال المحبة والطاعة.

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة: ٥].

(أي لك اللهم نخشع ونذل لك ونستكين، إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك).

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٣١٩).

(٢) الصحاح (٢/٥٠٣).

(٣) تهذيب اللغة (٢/٢٣٦).

(٤) جامع البيان (١/١٦١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك)[1] . . . .)[2].

وقال الأزهري: وقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]

أي أطيعوا ربكم وقيل في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نوحد، والعابد الموحد)[3].

وقال البغوي[4] في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أي نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل. وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي مذلل)[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما يحب الرجل ولده وصديقه.

ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عندهم من كل شيء بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله. وكل ما أُحِبَّ لغير الله فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل . . .)[6].

ويطلق اسم العبادة على الأعمال الشرعية التي تُفعل تقرباً إلى الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[7].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٩) ، وابن كثير في تفسيره ، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) انظر جامع البيان (١/ ١٦٠) ط: دار المعارف .

(٣) تهذيب اللغة (٢/ ٢٣٦) .

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي قال عنه الذهبي :

(الإمام الحافظ الفقيه المجتهد محيى السنة ، صاحب معالم التنزيل وشرح السنة والتهذيب والمصابيح وغير ذلك ، وبورك له في تصانيفه لقصده الصالح فإنه كان من العلماء الربانيين وكان ذا عبد ونسك وقناعة باليسير) مات سنة ٥١٦ هـ. تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٥٧ - ١٢٥٨) ، وانظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي (٧/ ٧٥) ، وشذرات الذهب (٤/ ٤٨) .

(٥) تفسير البغوي (١/ ٤١) .

(٦) العبودية (ص ٤٤) .

(٧) العبودية (ص٣٨) .

(٢) شـــــــروطها :

العبادة الشرعية لا تـكون مقبولة عند الله ومرضية إلا أن تتوفر فـيها ثلاثة أصول، وإلا فهي مردودة على صاحبها غير مقبولة.

وفي بيان تلك الأصول الثلاثة يقول صاحب كتاب أضواء البيان:

(اعلم أولاً أن القرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور:

الأول : موافقتـه لما جاء به النبي ﷺ لأن الـله يقول: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر: ٧].

الثاني : أن يكون خالصًا لله تعـالى لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة: ٥].

﴿ **قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ** ﴾ [الزمر: ١٤، ١٥].

الثالث : أن يكون مبنياً على أساس العقـيدة الصحيحة، لأن الله يقول: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧].

فقيد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كـان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح.

وقد أوضح جل وعـلا هذا المفهوم في آيات كثـيرة كقوله في عمل غـير المؤمن: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقوله : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [هود: ١٦].

وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [النور: ٣٩].

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] . . . .)[١].

(٣) أنواعــــهــــا :

تقدم أن معنى العبادة معنى شامل للأقوال والأعمال الـظاهرة والباطنة فمنها العبادة القولية، ومنها العبادة العملية، ومنها العبادة الاعتقادية. فبحكم هذا التنوع تكون العبادة موزعة على القلب واللسان والجوارح، فلكل من هذه الجهات نصيب من العبادة.

العبادة الاعتقادية:

مثل اعتقاد أن الله رب كل شيء وخالقه، ومالكه له الخلق والأمر وبيده النفع والضر وأنه لا شريك له ولا كفء ولا ند له وأنه لا معبود بحق غيره.

وكذا حب الله ورجاؤه والخوف والخشوع والإنابة والتوكل وإخلاص العمل لله وحده، فهذه المطالب هي نصيب القلب من العبادة.

العبادة القولية :

مثل النـطق بالشهادتين وتـلاوة القرآن في الصلاة وفي غـيرها والتلفظ بـالأذكار الواردة في الصلاة، والحج، ومـثل الدعاء، والثناء والحمـد والشكر، والاستغفار، وصـدق الحديث، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فهذه المطالب هي نصيب اللسان من العبادة.

العبادة العملية :

مثل الصلوات الخمس، وما يتعلق بها وسائر أركان الإسلام من زكاة وصيام وحج، وكذا الجهاد العملي لأعداء الإسلام، وسائر الواجبات والمندوبات. فهذه المطالب هي نصيب الجوارح من عبادة الله تعالى[٢].

وبهذا البـيان يتضح لنا شـمول العبادة لحياة المسـلم كلها المتضـمنة لأقواله وأفعالـه الظاهرة والباطنة وما ينطوي عليه ضميره من نية وقصد.

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٣٥٢ - ٣٥٣) .

(٢) انظر مدراج السالكين (١ / ١٠٩ - ١٢٢) بتصريف .

المبحث الرابع

ما يناقض توحيد الألوهية

تقدم أن جميع الأنبياء والرسل كان أول دعوتهم إلى عبادة الله وحده والبراءة من الشرك بأنواعه وألوانه وصوره. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

ولقد جاء الرسول محمد ﷺ بالتوحيد والنهي عن الشرك، وحذر منه أبلغ التحذير.

قال ﷺ لمعاذ بن جبل: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»[١].

وسئل ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ فقال: «أن تجعل لله ندآ وهو خلقك»[٢].

وقد أخبر الله بأن كل ذنب يغفر إن شاء ما عدا الشرك:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

قال ابن كثير: (أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به، أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء، أي من عباده)[٣].

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد: (وإنما كان كذلك لأنه أقبح القبح، وأظلم الظلم، إذ مضمونه تنقص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه (١٠/ ٤٣٣ ح ٦٠٠١) من طريق عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٨) ط : دار الأندلس .

ولأنه مناقض لـلمقصود بالخلق والأمر، مـناف له من كل وجه. وذلك غايـة المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته، والذل له والانقياد لأمره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك. فمتى خلا منه خرب العالم وقامت القيامة كـما قال ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»[1].

ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعـالى وتقدس، في خصائص الألوهية من ملك الضر والنفع والعطاء والمنـع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع الـعبادة كلها لله وحده، فمن علق شيئاً من ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق)[2].

فعلى كل مسلم - يريد أن يخلص نفسه وينجهـا من الوقوع فيما ينافي ويناقض شهادته بأنه لا إله إلا الله - أن يعرف التـوحيد من الشرك معرفة تامة، وأن يميز بـين الحق والباطل، والهدى والضلال، فمن لا يميز بين ما هو من الإسلام وما ليس منه فقد اختلط عليه الأمر، والنتيجة التي تحصل منها انتقاض إسلامه وجهل مقاصد دينـه الذي أهم مقصد فيه على الإطلاق توحيد الباري جل وعلا والبراءة من الإشراك به. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى شارحاً ما يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إنما تنـقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، (وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلـية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كـان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينـقض بذلك عرى الإسلام عن قـلبه ويعود المعروف منـكراً، والمنكر معروفـاً والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان، وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً والله المستعان)[3].

ثم الشرك أقسام :

شرك أكبر : وهو منـاف للتوحيد بـالكلية ومخـرج من الملة لا يغفـره الله إلا بالتوبـة منه وجزاؤه الخلود في النار إذا مات عليه.

قال ابن القيم في بيان الشرك الأكبر: (وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله،

---

(١) أخرجه مسـلم : كتـاب الإيمان بـاب ذهاب الإيمان في آخر الزمـان (١/ ١٣١ ح ٣٣٤) من طريق ثابت عـن أنس بن مالك .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ١١٥) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٤٤) .

وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨].

مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة ....)[١].

وفصَّل الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ[٢] أنواع الشرك الأكبر فقال: وهو أربع أنواع :

النوع الأول :

شرك الدعوة أي الدعاء، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

النوع الثاني :

شرك النية والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

النوع الثالث :

شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم، كما فسره النبي ﷺ لما سأله - عدي بن حاتم - فقال: (لسنا نعبدهم) فذكر له ﷺ : «إن عبادتهم طاعتهم في المعصية»[٣].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣) .

(٢) هو عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قال عنه ابن بشر : (العالم النحرير البحر الزاخر .. جامع أنواع العلوم الشرعية ومحقق العلوم الدينية والأحاديث النبوية .. قاضى قضاة الإسلام والمسلمين .. صنَّف مصنفات في الأصول والفروع) ومن جملة مصنفاته فتح المجيد وقرة عيون الموحدين توفي سنة ١٢٨٥ هـ . انظر عنوان المجد لابن بشر (٢/ ٢٠) .

(٣) اخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن باب من سورة التوبة (٥/ ٢٧٨ ح ٣٩٠٥)، وابن جرير الطبري في التفسير (١٠/ ١١٤)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١١٦) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم ، قال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب ، وغطيف بن اعين ليس بمعروف الحديث) .

النوع الرابع :

شرك المحبة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ ومنَ النَّاسِ مَن يَتَّخذُ من دُون اللَّه أَندَادًا يُحبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّه والَّذين آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّه ولَوْ يرى الَّذين ظَلَمُوا إذْ يرَوْنَ الْعَذَاب أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّه جَميعًا وأَنَّ اللَّهَ شَديدُ الْعَذَاب ﴾ [البقرة: ١٦٥][(١)].

القسم الثاني من أقسام الشرك فهو الأصغر، وإنما قيل عنه كذلك لأنه لا يُخرج من الملة بخلاف الأكبر.

قال ابن القيم رحمه الله في كلام على هذا القسم: (وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[(٢)] وقول الرجل للرجل: (ما شاء الله وشئت) و (هذا من الله ومنك) و (أنا بالله وبك) و (ما لي إلا الله وأنت) و (أنا متوكل على الله وعليك) و (لولا أنت لم يكن كذا وكذا).

وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده. وصح عن النبي ﷺ أنه قال لرجل قال له: (ما شاء الله وشئت) أجعلتني لله ندآ؟» قل: « ما شاء الله وحده »[(٣)]. وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ)[(٤)].

---

(١) مجموعة التوحيد (ص ٣٤٧ ، ٣٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٦٩ ، ٨٦) ، وأبو داود : كتاب الأيمان والنذور باب كراهية الحلف بالآباء (٣/ ٥٧٠ ح ٣٢٥١). والترمذى كتاب النذور والأيمان باب ما جاء فى كراهية الحلف بغير الله (٤/ ١١٠ ح ١٥٣٥). والبيهقي فى السنن (١٠/ ٢٩). والحاكم فى المستدرك (١/ ١٨). جميعهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر ولفظه عند الترمذي والبيهقي (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) . ولفظه عند الحاكم : (من حلف بغير الله كفر). قال الترمذي على إثره : (هذا حديث حسن). وقال الحاكم : (هذا حديث على شرط الشيخين فقد احتجا بمثل هذا الإسناد). وأقره الذهبي في التلخيص.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٤) ، والبخاري في الأدب (ص ٢٧٤ ح ٧٨٣). ، والنسائي في علم اليوم والليلة (ص ٥٤٥ ، ٥٤٦). ، وابن ماجه: كتاب الكفارات باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت (١/ ٢٧٤ ح ٢٢٧) بنحو هذا اللفظ .

- قال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ١٣٦) : (هذا إسناد فيه الأجلح بن عبدالله مختلف فيه، ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد ووثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان والعجلي وباقي رجال الإسناد ثقات).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٤٤).

المبحث الخامس
تقرير السلف لتوحيد الألوهية

إن طريقة السلف في تقرير توحيد الألوهية هي نفسها طريقة القرآن الكريم، والتي تشتمل على عدة طرق في تقرير التوحيد، وذلك على النحو التالي:

(١) الأمر بالتوحيد العملي الإرادي، وإفراد الله تعالى بالعبادة، والآيات في الباب كثيرة.

(٢) النهي عن الشرك في عبادة الله تعالى، والآيات في الباب تجل عن الحصر.

(٣) إبطال عبادة غير الله، مما يعبده المشركون، حيث يبين الله تعالى أن هذه الآلهة لا تستحق أن تعبد لكونها لا تملك شيئاً وليس لها من الأمر شيء ، والآيات حول هذا الموضوع كثيرة جداً.

* * *

المبحث السادس
الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

ذهب بعض الناس إلى أن توحيد الربوبية والألـوهية شيء واحد لا فرق بينهما، ومن هؤلاء أكثر المتفلسفة وجماعة من المتكلمين وأكثر الصوفية ونحوهم فخلطوا بين الأمرين خلطاً كبيراً.

بينما ذهب أهل السنة والجماعة إلى الفرق بينهمـا باعتبار أن توحيد الربوبية معناه انفراد الله تعالى بأفعالـه من الخلق والملك والتدبير، وأما توحـيد الألوهية فمقصوده إفراد الله تـعالى بفعل العبد من أنواع العبادات بحيث تصرف له دون غيره، وهذا هو الحق لكن يقال إن لكل منها تعلقاً بالآخر، فتوحـيد الربوبية يستلـزم ويستوجب توحيد الألوهـية من المقر بالربوبيـة، فإذا أقر إنسان بالربوبية لزمه الإقرار بالألـوهية، وأما توحيد الألوهيـة فإنـه يتضمن تـوحيد الربوبية، فمن أفرد الله بالألوهيـــة كان ذلك من فعله متضمنـاً لإقراره بتوحيد الربوبية وإليك بـعضاً من أقوال أئمة الدعوة حول هذا الأمر.

قال الشيخ ابن عـبدالوهاب رحمه الله تعالـى: «فإذا قيل لك ما الفرق بين توحـيد الربوبية وتوحيد الألوهية؟ فقـل: توحيد الربوبية فعل الرب مثل الخلـق والرزق والإحياء والإماتة، وإنزال المطر وإنبات النبات وتدبير الأمور.

وتوحيد الألوهـية فعلك أيها العبد مـثل: الدعاء والرجاء والخوف والتوكل والإنـابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة»[1].

وقال رحمه الله: «اعلم أن الربوبية والألوهية يجـتمعان ويفترقان، وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان كما في قول القائل: من ربك؟.

مثاله الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ ونوع واحد في قوله : «افترض علـيهم صدقة تؤخذ من أغنيائـهم فترد إلى فقرائهم» وإذا ثبت هـذا فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه: من إلهك؟ لأن الربـوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحدٌ بها . . . إلى أن قال: فالربوبية فـي هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها، كما تكـون قسيمـة لها عند الافتراق فينبغي التفطن لهذه المسألة»[2].

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (١/ ٣٧١).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٧).

ومما أورده السهسواني في الجواب على اعتراض دحلان، قوله رحمه الله: (لا مرية في أننا مأمورون باعتقاد أن الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره وباعتقاد أن الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره، وأن لا نعبد إلا إياه، والأمر الأول هو الذي يقال له توحيد الربوبية، والأمر الثاني هو الذي يقال له توحيد الألوهية. . .)(1).

ثم ذكر السهسواني الآيات الدالة على كلا الأمرين(2) - إلى أن قال رحمه الله: (ولا أظنك شاكاً في أن مفهوم الرب، ومفهوم الإله متغايران، وإن كان مصداقهما في نفس الأمر، وفي اعتقاد المسلمين الخالص واحداً. وذلك يقتضي تغاير مفهومي التوحيد، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد «الرب»، ولا يعتقد توحيد الإله، وأن يشرك واحد من المبطلين في الإلهية، ولا يشرك في الربوبية، وإن كان هذا باطلاً في نفس الأمر، ألا ترى أن مصداق الرازق، ومالك السمع والأبصار، والمحي والمميت، ومدبر الأمر، ورب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ومن بيده ملكوت كل شيء والخالق، ومسخر الشمس والقمر، ومنزل الماء من السماء، ومصداق الإله واحد؟ ومع ذلك كان مشركو العرب يقرّون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار ويشركون في الألوهية والعبادة)(3).

ويكشف السهسواني عن تنبيه مفيد، وهو أن كون مصداق الرب عين مصداق الإله في نفس الأمر، وعند المسلمين المخلصين، لا يقتضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية والألوهية، ولا اتحاد مصداق الرب والإله عند المشركين.

يقول رحمه الله: (فعبّاد القبور يقرون بتوحيد الرازق، والمحيي والمميت، والخالق والمؤثر، والمدبر والرب، ومع ذلك يدعون غير الله من الأموات خوفاً وطمعاً، ويذبحون لهم، ويطوفون لهم، ويحلقون لهم، ويخرجون من أموالهم جزءاً لهم، وكون مصداق الرب عين مصداق الإله في نفس الأمر، وعند المسلمين المخلصين، لا يقتضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ولا اتحاد مصداق الرب والإله عند المشركين من الأمم الماضية، وهذه الأمة.

أما نعقل أن لفظ توحيد الربوبية، ولفظ توحيد الألوهية كلاهما مركبان إضافيان، والمضاف

---

(1) صيانة الإنسان ، (ص ٤٤٤).

(2) انظر : المرجع السابق، (ص ٤٤٤ ٤٤٦).

(3) المرجع السابق، (ص ٤٤٦ ، ٤٤٧).

في كليهما كلي، وهـذا غني عن البيان، وكذلك المضاف إليه في كليهمـا، فإن الربوبية والألوهية منتزعان مـن الرب والإله، وهم كليان. أما الرب فـلأن معناه المالك والسيد والمـتصرف للإصلاح المصلح والمدبر، والمربي، والجابر، والقائم والمعبود، وكل واحد مما ذكر معنى كلي.

وأما الإله فلأن مـعناه المعبود بحق أو بـاطل، وهو معنى كلي، فـالمنتزع منهما أيـضاً يكون معنـى كلياً، فتوحـيد الربوبيـة اعتقاد أن الرب واحـد سواء كان ذلك الرب عين الإلـه أو غيره، وتوحيد الألوهية اعتقاد أن الإله واحد سواء كان ذلك الإله عين الرب أو غيره.

وإذا تقرر هذا فنقول: يمكن أن يوجد في مادة توحيـد الربوبية ولا يوجد توحيد الألوهية لمن يعتقد أن الرب واحد، ولا يـعتقد أن الإله واحد، بل يعبد آلهة كثيـرة. ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الألوهية ولا يوجد توحيد الربوبية لمن يعتـقد أن المستحق للعبادة واحد، ولا يعتقد وحدانية الرب، بل يقول إن الأرباب كثيرة متفرقة، ويمكن أن يـجتمعا في مادة واحدة كمن يعتقد أن الرب والإله واحد، فثبت أن مفهوم توحـيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الألوهية. نـعم توحيد الربوبية من حيث إن الرب مصداقه إنما هو الله تعالى لا غيـر يستلزم توحيد الألوهية، من حيث إن الإله مصداقه إنما هو الله تعالـى لا غير، لكنّ هاتين الحيثيتين زائدتان على نفس مـفهومي التوحيدين، ثابتان بالبرهان العقلي والنقلي)[(١)].

ثم يقول **السـهسواني** : (على أنا لـو قطعنا النـظر عن بحث تغايـر مفهومي التـوحيدين، فمطلوبنا حاصل أيضاً، فإن توحيد الألوهية لا يتأتى إنكاره من أحد من المسلمين.

وهو كاف لإثبات إشراك عبّاد القبور، فإنه إذا دعوا غير الله رغبة ورهبة، وطلبوا منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ونحروا لهم، ونذروا لهم، وطافوا لهم، وحلقوا لهم، وصنعوا غير ذلك من العبادات فقد عبدوا غير الله، واتخذوهم آلهة من دون الله)[(٢)].

ولما زعم الدجوي أن المشركين كانوا ينكرون وجود الله مستدلاً بما فهمه من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿ **وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا ومَا الرَّحْمَنُ** ﴾ [الفرقان: ٦٠] فأجاب القصيمي على هذا الاستدلال بعدة أوجه نذكر منها:

(**الأول** : ليس في الآية الكريمة إنكار للرحمن، وإنما فيـها استفهام عنه «بما» التي يسأل بها

---

(١) المرجع السابق، (ص ٤٤٧ ، ٤٤٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٤٩).

عن حقيقة الشيء، والمصدق بوجود الأمر يسأل عنه لا خلاف بين اللغويين في ذلك، فهم يقولون: ما الروح؟ كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥] وهم يؤمنون بها .. فالسؤال عن الأمر ليس إنكاراً له.

الثاني : نقول هب ذلك جحوداً، ولكن هل هو جحود لذاته تعالى؟ أم جحود لتسميته بالرحمن؟ هو لم يدلل على ما قال، وقد سمع العربي لفظ عقار وخندريس وكميت، من أسماء الخمر، فيقول ما العقار وما الخندريس وما الكميت؟. وهو مؤمن بها، وقد يكون شربها، ولكن يجحد تسميتها بهذا الاسم، أو يجهلها، فالاسم غير المسمى، والمدلول غير الدال.

الثالث : في خبر صلح الحديبية لما أمر رسول الله ﷺ بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو نائب المشركين في الصلح: أما الرحمن فلا نعرفه، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقول سهيل: لا نعرف الرحمن، ولكن اكتب باسمك اللهم. يدل على أمرين، على أنهم مؤمنون بالله، وأنهم يستعينون في الشدائد به في أمورهم، وعلى أن الذي ينكرونه هو وصفه بالرحمن، ولو كانوا ينكرون ذاته لعارض باسم اللهم، ولأنكر لفظ الجلالة، ولفظ الرحيم المذكورين فهذا يفسر الآية، ويوضح قولهم ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾.

الرابع : المفسرون قاطبة يفسرون الآية بإنكار المشركين لهذا الاسم لا لذاته، وقد أجمعوا على هذا التفسير.

الخامس : هذه الآية على فهمهم مخالفة لتسمية العرب مشركين بالله والناس قاطبة يقولون إنهم مشركون بالله، فلو كانوا جاحديه لما كانوا مشركين به، فتسميتهم مشركين بالله يدل على أنهم مؤمنون بوجوده، ولكن عبدوا معه غيره)[١].

وقد ذكر القصيمي أجوبة أخرى . . . فنكتفي بما ذكرناه [٢].

ثم رد القصيمي مقالة الدجوي بأن الرسول لم يذكر الفرق بين التوحيدين فقال القصيمي:

(نقول: إما أن يريد أنهم لم يذكروه باللفظ المذكور، وإما أن يريد أنهم لم يذكروه ولا

---

(١) الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم ، (ص٢٥٢٣).

(٢) انظر : المرجع السابق (ص ٣٥-٤٠).

ثم ذكر القصيمي البراهين الدالة على أن المشركين الأوائل مؤمنون بأن الله خالق كل شيء (ص ٤٠-٥٥).

بالمعنى، ولم يفهموا من دخل في الدين أن هناك توحيدين، إن أراد الأول فلا يضرنا ولا ينفعنا . . ، وإن أراد الثاني نازعناه، وقلنا إنك لم تقم دليلاً عليه، بل نقول إن الرسول وأصحابه أعلموا الداخلين في الدين أن هناك توحيد ألوهية وربوبية بقولهم لهم قولوا : لا إله إلا الله، ولا تعبدوا إلا الله ولا تدعوا إلا إياه، مع قولهم لا خالق ولا رازق إلا الله، وهؤلاء يريدون أن يكون كلام رسول الله ﷺ بأن يقول: ينقسم التوحيد إلى قسمين . . .)(1).

ثم ذكر القصيمي البراهين على الفرق بين توحيد الألوهية، والربوبية فكان مما قاله:

البرهان الأول : فرّقت كتب اللغة والتفسير بين معنى كلمة الإله، وبين معنى كلمة الرب، فإله بمعنى المعبود، والرب بمعنى المالك للشيء وصاحبه.

البرهان الثاني: قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ** ﴾ [الناس: ١ - ٣] ذكر الرب ثم المالك ثم الإله، فلو كان الرب والإله شيئاً واحداً، لكان في الآية تكرار ينبو بها عن حد البلاغة.

البرهان الثالث : باتفاق أهل اللغة أن إلهاً بمعنى مألوه ككتاب أي مكتوب، وأن رباً بمعنى راب أي اسم فاعل، لأنه يقال رب الناس أي ملكهم فلا يصح تفسير اسم الفاعل باسم المفعول.

البرهان الرابع : أخبر القرآن أن الكفار كانوا يسمون أصنامهم آلهة قالوا: ﴿ **وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ** ﴾ [هود: ٥٣] ولم يخبر في آية أنهم قالوا لها أرباباً، فلو كان لا فرق بين اللفظين لسموها أرباباً كما سموها آلهة.

البرهان الخامس : الذي يحقن دم المشرك أن ينطق بكلمة الإخلاص على - ألا يأتي بما ينقضها - وهذه الكلمة التي تحقن الدم هي لا إله إلا الله باتفاق المسلمين. ولا يعصمه أن يقول لا خالق إلا الله بإجماع المذاهب، ولو كان معنى الإله والرب واحداً لما عصم دمه أحد اللفظين دون الآخر)(2).

(١) المرجع السابق، (ص ٥٩) باختصار، وانظر : الرد مفصلاً (ص ٦٧٥٨).

(٢) الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم، (ص٦٧ - ٧١) بتصرف يسير.

وانظر : بقية البراهين (ص ٦٧ - ٧٢) ومجموعها سبعة عشر برهاناً .

الباب السادس
توحيد الأسماء والصفات

ويتضمن الفصول الآتية :

الفصل الأول :

معنى توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الثاني :

ما يقدح في توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الثالث :

مذاهب الناس في توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الرابع :

طريقة السلف في توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الخامس :

ذكر جملة من الصفات الذاتية وكلام السلف عنها .

الفصل السادس :

ذكر جملة من الصفات الفعلية .

الفصل الأول

معنى توحيد الأسماء والصفات

هو اعتقاد انفراد الله سبحانه وتعالى بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة، كالإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنه على العرش استوى، وهو مع عباده أينما كانوا، هذا مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[1].

وهذا التوحيد أجلُّ المعارف لأنه معرفة بالله بأسمائه وصفاته، وعلى هذه المعرفة تُبْنَى العبادة. فإذا لم يعرف العبد ربه فكيف يعبده؟ كيف يعبد إلهاً يجهله؟ لذا استفاضت الأدلة بذكره والتنويه به، لأنه كلما كان الأمر مهماً كثر إيضاحه وبيانه.

* * *

---

(١) انظر بتصرف : تيسير العزيز الحميد (ص ٣٤ ، ٣٥)، والكواشف الجلية (ص ٤١٧ ، ٤١٨).

الفصل الثاني

ما يقدح في توحيد الأسماء والصفات

يقدح في هذا التوحيد خمسة أمور كلها من ضروب الإلحاد في أسمائه الذي ذمَّه الله وذم أهله في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهذه القوادح هي التشبيه، والتعطيل. وتسميته، ووصفه بما لا يليق به. قال ابن القيم: (الإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع :

أحدها : أن يسمي الأصنام بها، كتسمية اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها.

الثاني : تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجب الوجود بذاته أو علة فاعلة.

وثالثها : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلولة وأمثال ذلك.

رابعها : تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانٍ.

خامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى عما يقول المشبهون علواً كبيرا)[1].

* * *

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٩ ، ١٧٠).

الفصل الثالث

مذاهب الناس في الأسماء والصفات

الناس في باب الأسماء والصفات على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول - المعطلة :

وهم الذين عطلوا الرب عما يجب أن يثبت له من الأسماء والصفات. والتعطيل على ثلاث مراتب، ذكرها شيخ الإسلام في التدمرية وهي:

« (١) وصف الله بسلب النقيضين، وهو مذهب غلاة المعطلة، فإنهم يقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت لأننا لو وصفناه بالإثبات لشبهناه بالمخلوقات، ولو وصفناه بالنفي لشبهناه بالمعدومات.

(٢) وصف الله بالسلب والإضافة دون صفات الإثبات، وهو مذهب المعطلة من الفلاسفة والجهمية، وهؤلاء كلهم ينفون الأسماء والصفات.

(٣) إثبات الأسماء دون الصفات. وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم»[١].

والمعطلة قسمان : أهل تأويل، وأهل تجهيل.

أما أهل التأويل : فهم الذين يصرفون معاني نصوص الكتاب والسنة عن معانيها الظاهرة بغير حجة وهذا هو التحريف بعينه[٢].

أما أهل التجهيل : فهم الذين ينكرون معاني الأسماء والصفات، ويثبتون ألفاظاً لا معاني لها[٣].

الصنف الثاني - المشبهة :

وهم الذين يشبهون صفات الله بصفات المخلوقين، كقول بعضهم: لله سمع كسمعي وبصر كبصري.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٧ ، ٨) بتصرف.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨ ، ٩).

(٣) مختصر الصواعق (ص ٥٤).

قال إسحاق بن راهويه : (إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيد أو مثل يد أو سمعٌ كسمع أو مثل سمع فهذا هو التشبيه)[١].

وقال ابن تيمية : (من قال: علم كعلمي أو قوة كقوتي أو حب كحبي أو رضاء كرضائي أو يدان كيديّ أو استواء كاستوائي كان مشبهاً ممثلاً لله بالحيوانات)[٢].

ومن التشبيه التعرض لكيفية صفات الرب وحقيقتها التي لا يعلمها إلا الله[٣].

قال ابن القيم عن إلحاد المشبهة : (فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم إلحاد وتفرقت بهم طرقه)[٤].

الصنف الثالث - المؤمنون الموحدون :

وهم الذين يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل ولا تشبيه، ومن غير تحريف ولا تعطيل لشيء من أوصاف الله[٥].

قال الصابوني : (إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة . . يعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وَحيُهُ وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقله العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ لا يعتدون فيها تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه . . ولا يحرفون كلاماً عن مواضعه، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][٦].

وبعد هذا العرض لمذاهب الناس في الأسماء والصفات إجمالاً، نتناول مذهب السلف في ذلك في الفصل التالي بشيء من التفصيل.

---

(١) جامع الترمذي (٣/ ٥٠ ، ٥١).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦).
(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٤) بتصرف.
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٧٠).
(٥) انظر : كتاب الحق الواضح المبين (ص ١٢) ط السلفي ، و (ص ٢٠) ط دار ابن القيم.
(٦) اعتقاد السلف أصحاب الحديث (ص ٣ ، ٤).

الفصل الرابع

طريقة السلف في توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول

طريقتهم في الإثبات

الإثبات عندهم هو إثبات بلا تشبيه وبيان ذلك في الآتي :

(أ) الإيمان والتسليم بما ورد من الأسماء والصفات :

يجب الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها بالنقص أو الزيادة.

قال ابن خزيمة : (إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبيه ﷺ مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف)(١).

وقال أبو بكر الإسماعيلي(٢): (اعلموا رحمني الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وكتبه ورسله وقبول ما نطق به كتاب الله وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ ، لا معدل عما ورد به، ولا سبيل إلى رده إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة مضموناً لهم الهدى فيهما مشهوداً لهم بأن نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم، ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي سمّى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه ﷺ ....)(٣).

فجميع نصوص الأسماء والصفات يقرونها صريحة على ظواهرها كما أتت، ويسلمون لما تقتضيه تلك الصفات من كمالات تليق بالله، من غير تحريف ولا تكييف.

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة (ص١٤٠) ضمن مجموعة الرسائل الكمالية.

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني أبو بكر . قال عنه الذهبي : (الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام) مات سنة ٣٧١ هـ.

تذكرة الحفاظ (٩٤٧/٣). وانظر ترجمته في طبقات الشافعية (٣/ ٧).

(٣) ذم التأويل لابن قدامة (ص ١٣٩)، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية.

فكل ما نص عليه كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ وجب الإيمان به. فمن أنكر أو ألحد فإنه يخشى عليه الكفر بعد ثبوت الحجة عليه كما قال الشافعي: (لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه لا يسع أحداً من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله تعالى، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل)[1].

(ب) أن أسماء الله عز وجل وصفاته كلها عندهم توقيفية:

فلا يطلقون على الله شيئاً منها إلا بإذن من الشرع، فما ورد من الشرع وجب إطلاقه، وما لم يرد به فلا يصح إطلاقه. قال عبدالرحمن بن قاسم العتقي[2]: (لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن)[3].

وقال السجزي: (قد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف . . ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ)[4].

وذلك لأن الإيمان بصفات الله وأسمائه من الإيمان بالغيب، ولايمكن معرفة الغيب إلا عن طريق الرسل الذين يبلغون وحي الله.

(ج) إثباتهم للصفات إثبات وجود معلوم المعنى مجهول الكيفية:

سئل الإمام مالك عن قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

كيف استوى؟ (قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[5].

---

(١) ذم التأويل (ص ١٤٣).

(٢) هو عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بضم المهملة وفتح المثناة أبو عبدالله البصري. قال عنه ابن حجر: (الفقيه صاحب مالك ثقة من كبار العاشرة). مات سنة إحدى وتسعين ومائة. تقريب التهذيب (١/ ٤٩٥)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٢).

(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (١/ ٢١٢).

(٤) كتاب الحرف والصوت (ص ١٣٩).

(٥) تقدم تخريج هذا الأثر.

فبين أن الاستواء معلوم المعنى، مجهول الكيفية. وهكذا بقية الصفات يقال فيها ما قيل في الاستواء.

قال أبو سليمان الخطابي: (فإذا كان معلوماً أن إثبات البارئ سبحانه وتعالى، هو إثبات وجود، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته، إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وتكييف)[1].

وقال الحافظ أبو القاسم التيمي: (وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات.. وعلى هذا مضى السلف كلهم)[2].

وقال السجزي: (إن الله تعالى إذا وصف نفسه بصفة هي معقولة عند العرب، والخطاب ورد بها عليهم بما يتعارفون بينهم، ولم يبين سبحانه أنها بخلاف ما يعقلونه، ولا فسرها النبي بتفسير يخالف الظاهر، فهي على ما يعقلونه)[3].

وقال السرخسي الحنفي[4]: (وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص - أي بالآيات القطعية والدلالات اليقينية - وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية، ولم يجوزوا الاشتغال في طلب ذلك)[5].

وقال البزدوي الحنفي[6]: (إثبات اليد والوجه حق عندنا معلوم بأصله، متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن إدراك الوصف بالكيف، وإنما ضلَّت المعتزلة من هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات فصاروا معطلة)[7].

---

(١) الأربعين في صفات رب العالمين (ص ١٧)، والعلوم (ص ١٧٣)، كلاهما للذهبي.

(٢) الحجة في بيان المحجة (ص ٣٤).

(٣) لحرف والصوت (ص ١٨٣).

(٤) هو أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي نسبة سَرَخَس بفتح السين والراء بلد بخراسان، قال عنه القرشي: (كان إماماً علامة حجة متكلماً فقيهاً أصولياً) مات سنة ٢٩٠هـ، انظر الجواهر المضيئة (٣/ ٧٨)، والفوائد البهية (ص ١٥٨).

(٥) شرح الفقه الأكبر للقاري (ص ٦٠).

(٦) سيأتي التعريف به فيما بعد.

(٧) أصول البزدوي مع شرحه كشف الأسرار لعلي الدين البخاري (١/ ٦٠، ٦١).

(د) **الإثبات عندهم يكون على وجه التفصيل :**

وهذه هي طريقة القرآن، فالإثبات للصفات في كتاب الله يكون مفصلاً، والنفي يكون مجملاً[1].

ومن شواهد الإثبات المفصل قوله تعالى : ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

والمراد بالتفصيل :

التعيين والتخصيص، وذلك بذكر الأسماء والصفات معينة منصوصاً عليها، لا مجملة في لفظ عام، كقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(هـ) **صفات الله كلها كاملة عندهم :**

ما ورد في الكتاب والسنة وصفاً لله تعالى إنما هو عندهم من صفات الكمال الواجبة لله تعالى، ولو لم يتصف بها للزم النقص في حقه تعالى وتقدس. ومما يدل على هذا أن الله تعالى ذكر أن الأصنام لا توصف بالكلام، ولا بالنطق، ولا بالنفع، ولا بالضر، وهذا دليل على عدم إلهيتها. وإذا كان كذلك فهذه الصفات صفات كمال، والفاقد لها لا يستحق أن يكون متصفاً بالألوهية.

قال تعالى عمن عبد العجل من دونه : ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ * أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا**﴾

[طه: ٨٨، ٨٩]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٣).

(و) وأسماء الله كلها حسنى عندهم :

أسماء الله جميعها حسنى، لأنها دالة علـى صفات كمال عظيمة، ولو كانت أعلاماً محضة لم تكن حسنى[١]، لذلك أمر الله عباده أن يـدعوه بها لأنها وسيلة مقربة إليه يـحبها ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها[٢].

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فكل اسم من أسمـاء الله دال على جميع الصفة التـي اشتق منها، مستغرق لجمـيع معناها، ودلالة الأسماء على الذات والصفة تكون بالمطابقة إذا فـسرنا الاسم بجميع مدلوله، وبالتضمن إذا فسرناه ببـعض مدلوله، وبالالتزام إذا استـدللنا به على غيـره من الأسماء التي يتوقف عـليها هذا الاسم، مثـال ذلك الرحمن، دلالـته على الرحمـة والذات دلالة مطابـقة، وعلى أحدهـما دلالة تضمن لأنها داخـلة في الضمن، ودلالة الأسماء التي لا تـوجد الرحمة إلا بثبوتها كـالحياة والعلم والقدرة ونحوها دلالة التزام[٣]. فالمقصود أن أسماء الله أعلام وأوصاف دالة على معانيها، وكلها أوصاف مدح وثناء.

* * *

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٣/ ٨).

(٢) انظر : تيسير كلام المنان (٣/ ١٢٠ ، ١٢١ ، ٥/ ١٤٥).

(٣) انظر : بدائع الفوائد (١/ ١٦٢) بتصرف.

المبحث الثاني

طريقهم في التنزيه

التنزيه الذي دل عليه الكتاب والسنة وفهمه سلف الأمة هو تنزيه بلا تعطيل، لما أثبت الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ . وليس نفي الصفات الثابتة في الكتاب والسنة من التنزيه في شيء بل هو عين التنقص(١).

وأهل السنة ينفون ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ ، ولا يتعرضون لصفات الكمال ونعوت الجلال بنفي ولا تحريف.

وإثبات الصفات الثابتة في الكتاب والسنة ليس من التشبيه في شيء، بل التشبيه في نفي الصفات لا في إثباتها والتنزيه عند السلف مبني على أصول هي:

(أ) تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب مع إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل:

---

(١) خالف المتكلمون السلف في مفهوم التنزيه حيث جعلوه معولاً لهدم بنيان صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة. وأول من أدخل النفي في التنزيه هم الجهمية فقد نقل عنهم الإمام أحمد أن توحيدهم غالبه سلوب وتابعهم بعد ذلك المعتزلة فقد نقل عنهم الأشعري في المقالات أنهم أجمعوا على :
(أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبه ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسم ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ولا بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه الزمان ولا يجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن ولا يوصف بشيء من صفات الخلق . . فهذه جملة قولهم في التوحيد وقد شاركهم هذه الجملة الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة).
قال ابن أبي العز الحنفي في بيان فساد هذه الطائفة : (والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده . . والمقصود أن غالب عقائدهم السلوب ليس بكذا، وأما الإثبات فهو قليل وهو قليل وهو أنه عالم قادر حي . وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتي الذات فإن الله تعالى قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١].
ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي، ففهم أن المراد انفراده سبحانه بصفات الكمال فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله).
انظر كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص ١٠٥)، ومقالات الإسلاميين (ص ١٥٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٤)، وراجع أيضاً مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٣ ، ٤٨٤).

فينزه الله عن كل ما يوجب النقص أو العيب سواء كان متصلاً، كالموت والعجز والسِّنَة والنوم والذل والسفه والنسيان والغفلة والحاجة والتعب واللغوب، أو كان منفصلاً، كالشريك والظهير والشفيع بدون إذنه والولد والوالد واتخاذ صاحبة والكفؤ والند والولي من الذل.

ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي، ففهم أن المراد انفراده سبحانه بصفات الكمال فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله).

انظر كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص ١٠٥)، ومقالات الإسلاميين (ص ١٥٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٤)، وراجع أيضاً مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٣، ٤٨٤).

قال ابن القيم :

توحيدهم نوعان قولي وفعلي ... كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيضًا ... في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب وذا نوعان ... أيضًا فيه مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها ... عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هما ... نوعان معروفان أما الثاني
سلب الشريك مع الظهير مع الشفيع ... بدون إذن المالك الديان
وكذاك سلب الزوج والولد الذي ... نسبوه إليه عابدو الصلبان
وكذاك نفي الكفء أيضًا والوالي ... ما سوى الرحمن للغفران
والأول التنزيه للرحمن عن ... وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي ... ينفي اقتدار الخالق المنان
والنوم والسِّنَة التي هي أصله ... وعزوب شيء عنه في الأكوان

إلى أن قال :

وكذاك ظلم عباده وهو الغني	فماله والظلم للإنسان
وكذاك غفلتهُ وهو علاَّم	الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النسيان جل إلهنا	لا يعتريه قطُّ من نسيان
وكذاك حاجته إلى طعام ورز	ق وهو رازق بلا حسبان
هذا وثاني نوعي السلب الذي	هو أول الأنواع في الأوزان
تنزيه أوصاف الكمال له	عن التشبيه والتمثيل والنكران
لسنا وصفه بصفاتنا	إن المشبه عابدُ الأوثان (١)

(ب) النفي عندهم مجمل :

تقدَّم أن الإثبات عند السلف يكون إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ على وجه التفصيل من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل. أما النفي فهو مجمل عندهم كما في القرآن الكريم.

قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

والمراد بالإجمال : التعميم والإطلاق، والنفي المجمل : هو الذي لا يُتعرض فيه لنفي عيوب ونقائص معينة، فقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. هو نفي مجمل لأنه نفي للمماثلة في جميع الصفات، فلم يقل ليس كمثله شيء في علمه أو في قدرته أو في سمعه أو في بصره. وما ذكر من الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات إنما هو في الغالب، وإلا فإنه قد يأتي النفي مفصلاً، كما قد يأتي الإثبات مجملاً.

---

(١) العقيدة النونية المعروفة بالكافية الشافية (ص ١٤٥).

فالأول، كقوله تعالى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

والثاني كقوله تعالى: ﴿وللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

(ج) لا يصفون الله بالنفي المحض :

ومع نفيهم عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ فهم يثبتون ضد الصفات المنفية، كقوله تعالى: ﴿ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. فهم يثبتون كمال عدله.

وكقوله تعالى : ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣]. فهم يثبتون كمال علمه.

وكقوله تعالى : ﴿وما مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. فهم يثبتون كمال قدرته.

وكقوله تعالى : ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فهم يثبتون كمال حياته وقيُّوميته، لأن النفي الصرف عندهم لا مدح فيه ولا كمال لأنه عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء[1].

* * *

(١) انظر : الرسالة التدمرية (ص ٥٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٢).

الفصل الخامس

ذكر جملة من الصفات الذاتية

وكلام السلف عنها

أولاً - الصفات الذاتية :

(١) صفة العلـــــو :

السلف رحمهم الله تعالى يعتقدون أن الله في السماء. دل على هذا قول أبي حنيفة: (من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض)[١].

وقال للمرأة التي سألته أين إلهك الذي تعبده؟ قال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد: ٤].
قال : هو كما تكتب للرجل إني معك وأنت غائب عنه)[٢].

قال البيهقي : (لقد أصاب أبو حنيفة رضي الله عنه فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع في قوله إن الله عزَّ وجلَّ في السماء)[٣].

وقرر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه حيث قال: (محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه)[٤].

وما يعتقده الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى من علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه هو اعتقاد سائر الأئمة. وقد تضافرت على إثبات صفة العلو دلالة الفطرة والعقل والشرع.

---

(١) الفقه الأبسط (ص ٤٩)، ونقل نحو هذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤ / ٤٨). وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٣٩)، والذهبي في العلو (ص ١٠١ ، ١٠٢) ، وابن قدامة في العلو (ص١١٦)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٣٠١).

(٢) الأسماء والصفات (ص ٤٢٩).

(٣) الأسماء والصفات (ص ٤٣٩ - ٤٤٠).

(٤) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٣٧).

وقد استدل السلف كذلك بدليل الفطرة[1]، وتنوعت أدلة العلو من الكتاب والسنة أوصلها العلامة ابن القيم إلى عشرين نوعاً منها:

(١) التصريح بالفوقية مقرونا بأداة (من) المُعيِّنة للفوقية بالذات في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

(٢) ذكرها مجرداً عن الأداة كقوله تعالى: ﴿وهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

(٣) التصريح بعروج بعض المخلوقات كقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

(٤) التصريح بالصعود إليه، وبرفعه بعض المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وكقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

(٥) التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وشرفاً، كقوله تعالى: ﴿وهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[الشورى: ٤].

وقوله: ﴿وهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

(٦) التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]. وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

(٧) التصريح بأنه تعالى في السماء كقوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

(٨) التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على» مختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات.

(٩) الإشارة إليه إلى جهة العلو حساً كما أشار إليه النبي ﷺ وهو أعلم بربه حيث قال:

---

(١) في تقرير دليل الفطرة تفصيلاً ، يقول الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة : (واجمع الخلق جميعاً أنهم إذا دعوا الله جميعاً رفعوا أيديهم إلى السماء فلو كان الله عز وجل في الأرض السفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء وهو معهم في الأرض ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه بذاته ثم خلق الأرض والسماوات فصار من الأرض إلى السماء إلى العرش فهو فوق السماوات وفوق العرش بذاته متخلصاً من خلقه بائناً من علمه في خلقه لا يخرجون من علمه). انظر : كتاب العرش لابن أبي شيبة (ص ٥١).

«أنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون» ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فرفع أصبعه الكريم إلى السماء قائلاً: «اللهم اشهد»[1].

(١٠) التصريح بلفظ الأين، كقول أعلم الخلق به وأنصحهم في أمته: (أين الله؟)[2].

والقول بالعلو هو اعتقاد الصحابة والتابعين وجميع المسلمين قبل ظهور المبتدعة. قال الأوزاعي: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة الصحيحة من صفاته)(٣).

قال ابن تيمية: (وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه، والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك القول)[4].

وقال عبد الله بن المبارك: (نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية)[5]. وأقوال السلف في ذلك كثيرة. ولو ذهبت في إيراد أقوالهم لطال بنا المقام، ولكن أحيل القارئ الكريم إلى كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية للعلامة ابن القيم، وكتاب العلو للحافظ الذهبي، فقد نقلا عن أكثر من مائة إمام من أئمة المسلمين كلهم يصرحون بعلو الله واستوائه على عرشه.

هذه هي عقيدة السلف في العلو والفوقية، ولا يلتفت إلى بعض المنتسبين إلى مذهب أبي حنيفة وغيره ممن أنكر العلو وبقية الصفات أو بعضها، فهم مخالفون لهم في كثير من اعتقاداتهم، قال ابن أبي العز: (فقد انتسبت إليه - أي أبي حنيفة - طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداتهم، وقد ينسب إلى مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم)[6].

---

(١) اخرجه مسلم : كتاب الحج باب صحبة النبي ﷺ (٢/ ٨٨٦ ح ١٢١٨) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبدالله.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الأسماء والصفات (ص ٤٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٤٠٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩).

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد (ص ١٣)، والرد على الجهمية للدارمي (ص ٦٧)، والأسماء والصفات (ص ٤٢٧).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٠٢).

هذا وإن اللبيب ليعجب من حشد أنواع الأدلة[1] على قضية كهذه واضحة وضوحاً ظاهراً وجلاءً بيِّناً، لولا ما تسرب لعقول كثير من المسلمين من شبهات المبتدعة التي أعمت بصائر كثير من الناس وصيرت القضايا البدهية اليقينية نظرية ظنية.

(٢) صفة اليدين :

يثبت السلف رحمهم الله تعالى يدين حقيقيتين لله تعالى تليقان به تعالى لا تشبههما أيدي المخلوقين، ومما يدل على هذا قول أبي حنيفة: (وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد فهو له صفات بلا كيف)[٢].

وقال كذلك: (يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه)[٣].

ولقد ورد إثبات اليدين في عدة مواضع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ففي القرآن جاء في سورة المائدة قول الله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾.

أما في السنة فقد عقد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

ضمن كتاب التوحيد، أورد فيه جملة من الأحاديث الصحيحة كلها تثبت صفة اليدين لله تعالى منها:

حديث أنس بن مالك مرفوعاً في الشفاعة العظمى وفيه: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدمُ أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربك .....»(٤).

---

(١) الأدلة على علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه كثيرة جداً وقد تتبعها بعض أئمة السنَّة فوجدوها أكثر من الف دليل .

انظر : الجواب (٣/ ٨٤)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٩).

(٢) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

(٣) الفقه الأبسط (ص ٥٦).

(٤) كتاب التوحيد من صحيح البخاري باب قول الله تعالى : ﴿ لما خلقت بيديَّ﴾ (١٣/ ٣٩٢ ح ٧٤١٠) من طريق قتادة عن أنس.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك . . . . . .»[1].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء[2] الليل والنهار . . .»[3].

فهذه النصوص دالة على إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى وهي لا تحتمل التأويل بحال ولا يمكن حمل اليدين إلا على الحقيقة ومن لم يحملها على الحقيقة فهو معطل لتلك الصفة ولقد رد الإمام أبو حنيفة على من لم يحمل النصوص على الحقيقة وتأول صفة اليدين بالقدرة أو النعمة فقال: (ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفة بلا كيف)[4].

وقال الشافعي: «ونحو ذلك أخبار الله عز وجل أنه سميع وأن له يدين بقوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ . . .﴾ [المائدة: ٦٤]»[5].

فاليد غير القدرة عند السلف كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم بل هي صفة قائمة بذات الله تعالى تليق به وبجلاله وعظمته.

(٣-٤) صفتا الوجه والنفس :

أثبت الله لذاته المقدسة صفة الوجه في أربع عشرة[6] آية من آي الذكر الحكيم قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

---

(١) كتاب التوحيد من صحيح البخاري باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١٣/ ٣٩٢ ح ٧٤١٠) من طريق قتادة عن أنس.

(٢) سحاً: السح هو الصب الدائم. انظر: النهاية (٢/ ٣٤٥).

(٣) كتاب التوحيد من صحيح البخاري باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١٣/ ٣٩٣ ح ٧٤١٢) من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٤) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

(٥) من اعتقاد الشافعي في جزء أبي طالب العشاري من أصل خطي محفوظ في المكتبة المركزية بجامعة ليدن بهولندا.

(٦) عقيدة المسلمين (٢/ ٢١٥).

وأثبت له الرسول ﷺ صفة الوجه في أحادث معروفة مشهورة، منها حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً وفيه: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط[1] ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه[2] النور».

وفي رواية: «لو كشفه لأحرقت سُبُحات[3] وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[4].

وصح عنه ﷺ أنه استعاذ بوجه الله، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: (لما نزلت هذه الآية: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» فقال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر»)[5].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»[6].

وأثبت الله لذاته المقدسة صفة[7] النفس في غير ما موضع من آي الذكر الحكيم، وأثبتها له رسوله ﷺ في أحاديث مختلفة.

---

(١) القسط: الميزان ويسمّى قسطاً لأن القسط: العدل وبالميزان يقع العدل. كذا في شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ١٣).

(٢) الحجاب في اللغة: المنع والستر، والمراد هنا المانع من رؤيته، وسمّي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما. كذا في شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ١٤).

(٣) السبحات: بضم السين والباء ورفع التاء في آخره: جمع سُبُحة، ومعنى سبحات عند اللغويين والمحدثين: نوره وجلاله وبهاؤه - كذا في شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ١٣ ١٤).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٩٥، ٤٤٠، ٤٠١، ٤٠٥). ومسلم: كتاب الإيمان باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام (١/ ١٦١ ح ٢٩٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٣١)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٧٥)، والآجري في الشريعة (ص ٣٠٤).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ (١٣/ ٣٨٨) من طريق حماد بن زيد عن عمرو بن جابر بن عبدالله.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٨٥ ح ٢٤) من طريق قيس بن عبّاد عن عمار بن ياسر. قال الألباني: (حديث صحيح).

(٧) عدّ كثير من أهل السنة (النفس) من صفات الله تعالى. انظر الفقه الأكبر بشرح القاري (ص ٥٨)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١١ ، ١٢)، وأقاويل الثقات (ص ١٨٦)، وقطف الثمر (ص ٦٦)، وذهب شيخ الإسلام أن المراد من النفس هو ذات الله وعينه لا صفة له. انظر مجموع الفتاوى (٩/ ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٤/ ١٩٦ ، ١٩٧)، وكذا البخاري فإنه ذكر نصوص (النفس) دون التصريح أنها صفة، ومراده أنه يجوز إطلاق النفس على الله لورود النص، هكذا فسر مراده الهاشمي في شرحه لكتاب التوحيد (ص ٧٠)، وللشيخ عبدالله الغنيمان كلام حسن وفق بين قولي أهل السنّة في (النفس). انظر شرحه لكتاب التوحيد (١/ ٢٤٩ ، ٢٥٥).

فمن تلك الأدلة من القرآن قول الله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقد قال أعلم الناس بربه ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ....»(١).

وقال ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ....»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش - إن رحمتي تغلب غضبي»(٣). فما أثبته الله لذاته المقدسة من الصفات، وأثبته له رسوله ﷺ وجب إثباته من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

هذا معتقد أهل السنة والجماعة وسلف الأمة، يقول ابن خزيمة: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، ونقر بذلك بألسنتنا، ونصدق بذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجوه أحد من المخلوقين، وعزّ ربنا أن نشبهه بالمخلوقين وجل ربنا عما قالت المعطلة)(٤).

ومن جملة تلك الصفات صفتا الوجه والنفس، فأثبتوهما لله حقيقةً من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل. وهذا ما يعتقده السلف، فمن ذلك قول أبي حنيفة: (وله يد ووجه ونفس كما ذكر الله في القرآن، فما ذكره الله في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف)(٥)، وقال الشافعي في جزء أبي طالب العشاري المنسوب إلى الشافعي في الاعتقاد: «وأن له وجهاً بقوله عز وجل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] كل شيء هالك إلا وجهه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٩١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٠٩، ٢١٠)، وابن حبان كما في موارد الظمآن (ص ٥٨٩) كلهم من طريق عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن عبدالله بن مسعود وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٦)، قال: (رجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (١/ ٣٥٢ ح ٤٨٦) من طريق الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (١٣/ ٣٨٤ ح ٧٤٠٤)، ومسلم: كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٧ ح ٢٧٥١). كلاهما من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

(٤) التوحيد لابن خزيمة (ص ١٠، ١١).

(٥) عقيدة المسلمين (ص ٤٨٢ ٤٨٦).

وقوله: ﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ الإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وكلام السلف حول هذا المعنى كثير جداً.

(٥-٦) صفتا السمع والبصر :

الله تعالى له سمع وبصر على ما يليق بجلال الله وعظمته. وهما صفتان حقيقيتان. فكما له ذات حقيقية لا تشبه ذوات الخلق، فله صفات حقيقية لا تشبه صفات الخلق، ولقد ورد إثبات صفة السمع في سبع وخمسين آية، وإثبات صفة البصر في خمسين آية من آيات الذكر الحكيم.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]. وقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١]. وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤]. وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وأما الأدلة من السنة فقد عقد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٨].

ضمن كتاب التوحيد أورد فيه جملة من الأحاديث الصحيحة تثبت صفتي السمع والبصر لله تعالى وهي:

(١) حديث أبي موسى الأشعري، قال: (كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: «اربعوا[1] على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً .....»)[2].

---

(١) اربعوا بهمزة وصل مكسور ثم موحدة مفتوحة من ربع الثلاثي أي ارفقوا، ولا تجهدوا أنفسكم. انظر فتح الباري (١١/ ١٨٨).

(٢) كتاب التوحيد من صحيح البخاري باب ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (١٣/ ٣٧٢ ح ٧٣٨٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/ ٢٠٧٦ ح ٢٧٠٤) كلاهما من طريق أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري.

(٢) وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (قال النبي ﷺ: «إن جبريل عليه السلام ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك»)[١].

وهاتان الصفتان من صفات الكمال ونعوت الجلال ألا ترى الخليل عليه السلام كما أخبر الله عنه يوبخ أباه بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

وقال تبكيتاً لعباد الأصنام: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢، ٧٣].

فدل ذلك على أن المودع في الفطر أن من شأن الإله أن يكون سميعاً يجيب من دعاه، بصيراً يرى من يعبده ، فالله لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، فيسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى كل شيء وإن خفي قريباً أو بعيداً فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار.

فالمقصود أن الله تعالى له سمع يسمع به، وبصر يبصر به حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته. هذا ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وهذا هو ما عليه السلف الصالح وصرح به العديد منهم كما قاله أبو حنيفة ويؤمن به، دل على ذلك قوله: (ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا)[٢].

وقال في مقام تبيينه لصفة الكلام: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال الشافعي في جزء أبي طالب العشاري المنسوب إليه في الاعتقاد: «ونحو ذلك أخبار الله عز وجل أنه سميع . . .»[٣].

(٧) صفة العلم :

أثبت السلف رحمهم الله تعالى، صفة العلم لله عز وجل وأنه عليم بعلم لا يشبه علم

---

(١) كتاب التوحيد من صحيح البخاري باب ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (١٣/ ٣٧٢ ح ٧٣٨٩) من طريق عروة عن عائشة.

(٢) انظر : العقائد السلفية (ص ٦٣).

(٣) الكواشف الجلية (ص ١٤٧).

المخلوقين دل على ذلك قول أبي حنيفة: (يعلم لا كعلمنا) وكلام السلف حول هذا المعنى كثير.

وعلم الله شامل جميع الأشياء صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها. يعلم كليات وجزئيات الأمور، وعلمه محيط بجميع الأشياء في كل الأوقات، أزلاً وأبداً فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق، وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، شقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار. وفي ذلك يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى مبيناً سعة علم الله وإحاطته لكل شيء: (يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوماً يعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجوداً، ويعلم أنه كيف يكون فناؤه، ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائما، وإذا قعد علمه قاعداً في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدثان في المخلوقين)[1].

ورد على غلاة القدرية الذين يقولون: (إن الله لا يعلم أعمال العباد حتى يعملوها)[2].

حيث قال: (وكان الله تعالى عالماً في الأزل قبل كونها)[3].

وقرر الطحاوي هذا الرد في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه حيث قال: (لم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم)[4].

(وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه)[5].

وقال: (خلق الخلق بعلمه)[6].

وقال مالك: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»[7].

---

(١) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

(٢) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢). مقتبساً ذلك من القرآن الكريم سورة الشورى، الآية (١١).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).

(٥) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢، ٣٠٣).

(٦) انظر: الفرق بين الفرق (ص ١١٤-١١٦)، والملل والنحل (١/ ٤٥)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٣٨١).

(٧) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

وقال الشافعي لحفص الفرد لما قال: علم الله مخلوق. فقال له: «كفرت بالله العظيم»(١).

وقال أحمد بن حنبل: «إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علم الله فهو كافر»(٢).

وما يعتقده السلف في صفة العلم هو ما دلت عليه الأدلة من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ وعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ ويَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ ومَا تَسْقُطُ مِن ورَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يَابِسٍ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وكقوله تعالى: ﴿ إنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الْغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وكقوله تعالى: ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُمْ وأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨].

وكقوله تعالى: ﴿ وهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ ويَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣].

ومن السنة عقد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾، ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾. ضمن كتاب التوحيد أورد فيه حديثين صحيحين يثبتان صفة العلم لله تعالى وهما:

(١) حديث ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»(٦).

---

(١) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٣١).
(٢) العقيدة الطحاوية بتعلق الألباني (ص ٢١).
(٣) الانتفاء (٣٥).
(٤) السنة للالكائي (٣/ ٤٠٥).
(٥) السنة لعبدالله بن أحمد (١٠٦)، والسنة للالكائي (٣/ ٤٠٦).
(٦) كتاب التوحيد من صحيح البخاري باب قول الله تعالى: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ (١٣/ ٣٦١ ح ٧٣٧٩)، من طريق عبدالله بن دينار عن ابن عمر.

(٢) حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: «لا يعلم الغيب إلا الله». . . .)[١].

وكان ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، وقدّر لي الخير حيث كان ثم أرضني به، ويسمي حاجته»[٢].

وكان من دعاء النبي ﷺ : «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني»[٣]. فالنصوص الشرعية الدالة على صفة العلم كثيرة. فأهل السنة والجماعة آمنوا بها وأثبتوا ما تدل عليه من معنى ونفوا الكيفية، أما الجهمية والمعتزلة فأنكروا أن يكون لله علم أضافه لنفسه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيء علماً، وحاربوا النصوص الدالة على ذلك. فمعبودهم على هذا الاعتقاد ليس العليم الخبير الذي هو بكل شيء عليم، وإنما يعبدون العدم.

(٨-١٠) صفات الحياة والقدرة والإرادة :

الحياة والقدرة والإرادة صفات ذاتية أثبتها السلف. دل على ذلك قول أبي حنيفة رحمه الله: (أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة)[٤].

وهي صفات حقيقية أزلية لائقة بالله لا تشبه صفات المخلوقين قال الإمام أبو حنيفة: (لم يزل قادراً بقدرته، والقدرة صفة في الأزل)[٥].

---

(١) كتاب التوحيد من صحيح البخاري باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ (١٣/ ٢٦١ ح٧٣٨٠)، من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة (١١/ ١٨٣ ح٦٣٨٢) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر.

(٣) أخرجه البخاري : كتاب الدعوات باب قول النبي ﷺ : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت » (١١/ ١٩٦ ح٦٣٩٩)، من طريق أبي بردة عن أبي موسى الأشعري.

(٤) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).

(٥) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).

وقال: (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته)[1].

وقال: (ويقدر لا كقدرتنا)[2].

وقرر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه حيث قال: (وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] [3].

وقال: (حي لا يموت قيوم لا ينام)[4].

وقال: (ولا يكون إلا ما يريد)[5].

وما أثبته الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى من اتصاف الله بالحياة والقدرة والإرادة هو ما دلت عليه النصوص الصريحة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. أما الأدلة من كتاب الله كقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ [فاطر: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما الأدلة من السنة فكحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان

---

(١) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).

(٢) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٠). والاقتباس من سورة الشورى (ص ١١).

(٤) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ١٩).

(٥) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ١٩).

يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[(١)].

وحديث جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم . . .»[(٢)].

وحديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين. . . .»[(٣)].

والأدلة في ذلك كثيرة نكتفي بذكر النصوص الشرعية المتقدمة. فالله كامل القدرة، وبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجاري المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له ﴿كن فيكون﴾، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد)[(٤)].

فله الإرادة النافذة في جميع الموجودات، والحياة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات والكمال. فكل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فهو به أولى[(٥)]. يقول ابن أبي العز الحنفي: (إن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال حياة)[(٦)].

فالمقصود أن الإرادة والقدرة لا تقومان إلا بالحي، فالميت والجماد لا يوصفان بالعلم والقدرة والإرادة والحياة.

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/ ٢٠٧٦ ح ٢٧١٧) من طريق يحيى بن يعمر عن ابن عباس.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري : كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (١/ ١٦٤ ح ٧١) من طريق حميد بن عبدالرحمن عن معاوية، ومسلم : كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة (٢/ ٧١٨ ح ١٠٣٧) من طريق عبدالله بن عالم عن معاوية.

(٤) انظر : تفسير ابن سعدي (٥/ ٦٢٤ ٦٢٥).

(٥) انظر : شرح الأصفهانية (ص ٨٥)، وموافقة صحيح النقول (١/ ١٤، ١٥).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٧٢).

ثانياً - الصفات الذاتية باعتبار والفعلية باعتبار آخر :

(١) المعيّـــــــة :

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه مع[(١)] عباده فقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

فهو معهم بعلمه، وعلمه محيط شامل لجميع الخلق، كذلك هو مع بعض عباده، ليس بالعلم، بل بالنصر والتأييد والتسديد والتوفيق. دلّ على ذلك قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

أما من السنة فحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: (نظرت إلى أقدام المشركين، ونحن في الغار، وهم على رءوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»)[(٢)].

ولقد بين السلف رحمهم الله تعالى أنه لا منافاة بين علو الله ومعيّته لخلقه فلقد روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض. فقال له رجل أرايت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [(٣)]. قال: هو كما تكتب لرجل إني معك وأنت غائب عنه)[(٤)].

قال البيهقي: (لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض وفيما ذكره من تأويل الآية وتبع مطلق السمع في قوله: إن الله عز وجل في السماء)[(٥)].

---

(١) المعيّة تنقسم إلى قسمين : معيّة عامة وهي ذاتية ، ومعيّة خاصة وهي فعلية.
راجع لمعرفة أنواع «المعية» مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٣ ، ١٠٤)، ومختصر الصواعق (ص ٤٠٩، ٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم (٧/ ٨-٩ ح ٣٦٥٣)، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤/ ١٨٥٤ ح ٢٣٨١) كلاهما من طريق ثابت عن أنس عن ابي بكر الصديق.

(٣) سورة الحديد : الآية ٤، تحقيق : عماد الدين ، ط دار الكتاب العربي.

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ١٧٠).

(٥) الأسماء والصفات (٢/ ١٧٠).

(٢) القيُّوميَّـــــة :

وصف الله تـعالى ذاته المقدسة بـالقيوميَّة فقـال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١].

ووصفه النبي ﷺ بالقـيوميَّة كما في حديث ابن مسعود رضي الـله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من قال: أستغـفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيـوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف»[١].

فهو الذي يـقوم بنفسه، ومـستغن عن جمـيع خلقه، وقائـم بجميع الموجـودات، فأوجدها وأبقاها وأمدها بجميع مـا تحتاج إليه في وجودها وبقائها، فهو القائم بنـفسه والمقيم لغيره[٢]. قرَّر هذا الطحاوي في بيان اعتـقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيـفة وصاحبيه، حيث قال: (حي لا يموت قيُّوم لا ينام)[٣].

(٣) الكـــــــلام :

اتفق السلف على إثبـات صفة الكلام لله على ما يليق بجلاله وعظـمته، وأنه تعالى لم يزل متكـلماً إذا شاء ومتـى شاء وكيف شاء، وأن الـكلام صفة لـه قائمة بذاتـه، وهو يتكلـم بصوت يُسْمَع، ولـو لم يكن الكلام المعـين قديماً. وعلى هذا مـضى سلف الأمة من أهل الحـديث وسائر الأئمة المهتدين[٤].

قال ابن تيمية : وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها مـن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المـسلمين، كالأئمـة الأربعة، وغيرهم مـا دل عليه الكتـاب والسنة، وهو الذي يـوافق الأدلة

---

(١) أخرجه الحاكم في المـستدرك (١/ ٥١١) من طريق عوف بن مالك بن نـظلة عن عبدالله بن مسعـود قال الحاكم على أثره: (حديث صحيح على شـرط الشيخين ولم يخرجاه)، وأقره الذهبي في تلخيـص المستدرك. وأخرجه الترمذي: كتاب الدعوات باب في دعاء الضيف (٥/ ٥٦٩ ح ٣٥٧٧)، وأبو داود : كتاب الصلاة باب في الاستغفار (٢/ ١٧٨ ح ١٥١٧). كلاهمـا من طريق يسار عـن أبيه زيد مولـى رسول الله ﷺ قال الـترمذي على أثره : (هـذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأورده المنذري في الترغيب (٢/ ٢٦٩) وقال عنه : (إسناده جيد).

(٢) تيسير كلام المنان (١/ ٣١٣) بتصرف.

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ١٩).

(٤) العقائد السلفية (ص ١٧٥) بتصرف.

العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل، وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقاً منفصلاً عنه. وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ولم يقل أحد منهم إن القرآن والتوراة والإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته)[1].

وقال كذلك: (فمن قال إن حروف المعجم مخلوقة، وأن كلام الله تعالى مخلوق، فقد قال قولاً مخالفاً للمعقول الصريح والمنقول الصحيح. ومن قال نفس أصوات العباد وأجسادهم أو شيء من ذلك قديم، فقد خالف أيضاً أقوال السلف، وكان فساد قوله ظاهراً لكل أحد، وكان مبتدعاً قولاً لم يقله أحد من أئمة المسلمين، ولا قالته طائفة كبيرة من طوائف المسلمين، بل الأئمة الأربعة وجمهور أصحابهم بريئون من ذلك)[2].

هذا اعتقاد السلف والأئمة الأربعة - أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - في صفة الكلام على وجه الإجمال. أما عقيدة السلف في صفة الكلام على وجه التفصيل فيندرج تحتها الآتي :

(أ) التكلُّم والتكليم.

(ب) سماع كلام الله.

(ج) القرآن كلام الله على الحقيقة.

(د) القرآن غير مخلوق.

وإليك تفصيل ذلك :

(أ) التكلُّم والتكليم :

يعتقد السلف رحمهم الله تعالى أن الله متكلم بكلام حقيقي لا مجازي، دل على ذلك قول أبي حنيفة: (قد كان متكلماً ولم يكن كلَّم موسى عليه السلام)[3].

وقوله: (ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل)[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧ ، ٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٤ ، ٥٥).

(٣) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

(٤) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).

وهو كلام لائق بجلال الله وعظمته، ليس ككلام البشر. يقول الإمام أبو حنيفة: (ويتكلم لا ككلامنا)[1].

وقرَّر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه حيث قال: (ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر)[2].

وقال الشافعي رحمه الله: أنا أقول: «لا إله إلا الله الذي كلم موسى عليه السلام تكليماً من وراء حساب . . . .»[3].

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «لم يزل الله عز وجل متكلماً . . .»[4].

(ب) سماع كلام الله:

يُسمع الله تعالى كلامه من شاء من ملائكته ورسله ويسمعه عباده في الدار الآخرة، كما أنه كلَّم موسى وناداه حين أتى الشجرة فسمعه موسى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١، ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وهذا ما يعتقده الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، دل على ذلك قوله: (وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلَّم موسى عليه السلام).

---

(١) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٤).
(٢) الانتقاء (٧٩). ونقلها في لسان الميزان (١/ ٣٥).
(٣) ذم الكلام (ق ٢١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠).
(٤) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

(ج) القرآن كلام الله على حقيقته :

القرآن سورهُ وآياته وكلماته، كلام الله تكلم به بحروفه ومعانيه، ولم ينزله على أحد قبل محمد ﷺ، أسمعه جبريل عليه السلام وأسمعه جبريلُ محمداً ﷺ وأسمعه محمدٌ ﷺ أمته. وليس لجبريلَ ولا لمحمدٍ ﷺ إلا التبليغ والأداء، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي في المصاحف يتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه القارئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بآذانهم، وهو الذي في صدور الحفاظ بحروفه ومعانيه تكلم الله به على الحقيقة فهو كلامه على الحقيقة لا كلام غيره، منه بدأ وإليه يعود[1].

وهذا ما يعتقده السلف رحمهم الله تعالى، ومما دل على ذلك قول أبي حنيفة: (والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء وعلى النبي ﷺ أنزل)[2].

وقرر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه، حيث قال: (وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحياً وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة)[3].

فكلام الطحاوي في تقريره عقيدة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى يدل دلالة قاطعة على بطلان الكلام النفسي، فقوله: (منه بدأ) رد على المعتزلة وغيرهم الذين زعموا أن القرآن لم يبدأ منه بل من بعض مخلوقاته[4].

وقال مالك رحمه الله في القرآن: «كلام الله، وهو منه وليس من الله شيء مخلوق»[5].

وقال الشافعي: «القرآن كلام الله غير مخلوق»[6].

---

(١) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٧٧ ، ٧٨) ضمن مجموعة الرسائل الكمالية. العقيدة السلفية لكلام رب البرية (ص ٦٤)، ومجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٤٩ ، ٣٥٠).

(٢) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٤).

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٤٨٦).

(٥) السنة للالكائي (٢/ ٢٤٩).

(٦) السنة للالكائي (٢/ ٢٥٥).

وقيل لأحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: «كلام الله غير مخلوق...»[1].

وأقوال السلف في هذا الباب كثيرة جداً، وفيما أشرت إليه كفاية.

فالله هو الذي تكلم به ومنه سبحانه نزل، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١، ٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وأما قوله (إليه يعود) أي يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية[2] ولا في المصاحف. قال ابن ماجة: (باب ذهاب القرآن والعلم)[3].

ثم ذكر فيه حديث حذيفة بن اليمان وفيه قال: (قال رسول الله ﷺ: «يُدْرَس[4] الإسلام كما يُدْرَسُ وشي الثوب حتى لا يُدْرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية....»)[5].

(د) القرآن غير مخلوق:

اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى في القرآن هو ما دل عليه الكتاب والسنة، من أن القرآن مُنَزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. حيث قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر: (والقرآن غير مخلوق)[6].

وفي الوصية حيث قال: (ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق)[7]. ولم أقف له

---

(١) السنة للالكائي (٢/ ٢٦٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٥٢، ١٥٣).

(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤).

(٤) يُدْرَس: من درس الرسم دروساً إذا عفا وهلك ومن درس الثوب درساً إذا صار عتيقاً.

(٥) أخرجه ابن ماجة: كتاب الفتن باب ذهاب القرآن والعلم (٢/ ١٣٤٤ ح ٤٠٤٩). والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٣). كلاهما من طريق ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال الحاكم على إثره: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه). وسكت عليه الذهبي في التلخيص وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣٠٧) ط دار الجنان: (إسناده صحيح ورجاله ثقات).

(٦) (ص ٣٠١).

(٧) الجواهر المنيفة في شرح وصية الإمام (ص ١٠).

على قول في كتبه المنسوبة إليه يخالف هذا القول. ولأجل ما تقدم تتابع أهل العلم على إهمال الروايات المصرحة بأن أبا حنيفة يقول بخلق القرآن، وجزموا مقرِّرين بأن مذهب أبي حنيفة عدم القول بخلق القرآن كالإمام أحمد وبشر بن الوليد[(١)] والطحاوي واللالكائي وابن تيمية وابن حجر.

فالإمام أحمد يرى أن بعض أصحاب أبي حنيفة تابعوا جهماً بالقول بخلق القرآن، فقد جاء في كتاب (الرد على الجهمية): (وتبعه يعني جهماً - على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد ووضع دين الجهمية)[(٢)]. وكذا بشر بن الوليد، فقد روى ابن عبد البر في الانتقاء عن سهل بن عامر قال: (سمعت بشر بن الوليد يقول: كنا عند أمير المؤمنين فقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: القرآن مخلوق وهو رأيي ورأي آبائي، قال بشر بن الوليد: أما رأيك فنعم وأما راي آبائك فلا)[(٣)]، ويكذب عليهما[(٤)]. فهؤلاء شانوا سُمعة الإمام أبي حنيفة وأصحابه[(٥)].

وكذا الطحاوي حيث قال في بيانه اعتقاد الإمام أبي حنيفة وصاحبيه: (وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق)، ولم يشر إلى خلاف هذا[(٦)].

وقد سبق نقل الكلام عن مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى.

وكذا أيضاً اللالكائي سمى علماء السلف الذين يقولون القرآن غير مخلوق من التابعين وتابعيهم من أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة وواسط والشام ومصر والري[(٧)] وأصبهان وخراسان وبلخ[(٨)] ونيسابور وبخارى وسمرقند.

---

(١) هو بشر بن الوليد بن خالد الكندي نسبة إلى كندة بكسر الكاف قبيلة مشهورة باليمن، القاضي الفقيه قال عنه الذهبي: (الفقيه سمع مالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف . . وولي قضاء مدينة المنصور إلى سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان واسع الفقه متعبداً) مات سنة ٢٣٨هـ. انظر ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٦)، والفوائد البهية (ص ٥٤).

(٢) (ص ١٠٤ ، ١٠٥) ط دار اللواء.

(٣) الانتقاء (ص ١٦٦).

(٤) انظر : اللسان (١/ ٣٩٩).

(٥) انظر : تاريخ بغداد (١٣/ ٣٨٤).

(٦) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٤).

(٧) الري بفتح أوله وتشديد ثانيه مدينة بخراسان افتتحها عروة بن زيد الطائي في سنة عشرين من الهجرة وقيل تسع عشرة وصفها ياقوت الحموي فقال : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات. انظر : معجم البلدان (٣/ ١١٦).

(٨) بلخ مدينة مشهورة بخراسان افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان رضي الله عنه وصفها ياقوت الحموي فقال: (بلخ من أجمل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلّة). انظر : معجم البلدان (١/ ٤٧٩).

قال اللالكائي عن أهل الـكوفة موطن الإمام أبي حنيفة: (وأما أهل الكـوفة فممن تقدم من التابعين سليمان بـن مهران الأعمش وحماد بن أبي سليمان . . والطبقة الأولـى من الفقهاء محمد ابن عبدالـرحمن بن أبي ليـلى، وسفيان بن سعـيد الثوري، والنعمـان بن ثابت أبو حنـيفة، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، ومحمد بن الحسن . . . .)[١].

وكذا ابن تيمية فهو يقرر أن اعتقاد الإمـام أبي حنيفة في القرآن هو اعتقاد[٢] الأئمة الثلاثة - مالك والشافعي وأحمد، ويرى أن بعض أتباع الإمام أبي حنيفة قالوا بخلق القرآن.

قال ابن تـيمية : (وقد وافـقهم على ذلـك كثير ممن انتـسب في الفقـه إلى أبي حنيـفة من المعتزلة)[٣].

وكذا ابن حجر فقد جاء في «لسان الميزان» قوله عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة:

(هو من دعاة المأمون في المحنة بخلق القـرآن، وكان يقول في دار المأمون هو ديني ودين أبي وجدي وكذب عليهما)[٤].

وممن ذكر عنه أن القرآن غـير مخلوق مالك رضي الله عنه حيث قـال في القرآن: «كلام الله وهو منه وليس من الله شيء مخلوق»[٥].

وسئل عمن قال: القرآن مخلـوق؟ قال: «كافر زنديق اقتلوه»[٦]، وقال الشافعي رحمه الله تعالى لحـفص الفرد لما قال: القرآن مـخلوق فقال له الشـافعي: «كفرت بالله الـعظيم» ، وقال كذلك: «من قال القرآن مـخلوق فهو كافر»[٧]. وقال أحمد بن حنبل لما سـئل عمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال: «كافر»[٨].

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٣٧٧).
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٤٧٧)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٦٥)، ومنهاج السنة (٢/ ١٠٦).
(٣) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٦٠).
(٤) لسان الميزان (١/ ٣٩٩).
٥) السنة للالكائي (٢/ ٢٦٣).
(٦) السنة للالكائي (٢/ ٢٦٣).
(٧) رواه اللالكائي في السنة (٢/ ٢٥٢)، والآجري في الشريعة (١/ ٨١، ٨٢).
(٨) السنة للالكائي (٢/ ٢٦٣).

الفصل السادس

ذكر جملة من الصفات الفعلية

أولاً - الصفات الفعلية اللازمة :

(١) الاستـــــواء [١] :

السلف رحمهم الـله تعالى يثبتون استواء اللـه على عرشه، وعلوه على خلقه عـلى ما يليق بجلاله وعظمته. دل على ذلك قول أبي حنيفة: (ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة)[٢].

قال ابن أبي العز شارحاً كلام الطحاوي: (والعرش والكرسي حق وهو مستغنٍ عن العرش، وما دونه محيط بكل شيء وفوقه)[٣].

(وإنما قال الشيـخ هذا الكلام لأنه لما ذكر العرش والـكرسي ذكر بعد ذلك غناه سـبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبـين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ليس لحاجـته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضـته، وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يـكون الأعلى مفتقراً إليه فانـظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها، فالرب تعالى أعظم شأناً وأجل من أن يلزم علوه ذلك بل لوازم علوه من خصائصـه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافـل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به فهو فوق العـرش، وعدم إحاطة العرش به وحصره للعرش، وعدم حصر العـرش له. وهذه اللوازم منـتفية عن المخلوق، ونـفاة العلو أهل التـعطيل لو فصـلوا بهذا التفصيل لهـدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقـة العقل للتنزيه، ولسلكوا خـلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل فضلّوا عن سواء السبيل. والأمر فـي ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) معنى الاستواء في لغة العرب الارتفاع والعلو. قال ابن عـباس وأبو العليا الرياحي : (استوى إلى السماء أي ارتفع) وقال مجاهد استوى : علا على العرش.

انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١٣/ ٤٠٣)، وتفسير ابن جرير (١/ ١٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٠٤).

(٢) شرح الوصية (ص ١٠).

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٣٦ ٣٧).

كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول . . .)[1].

ففرق الإمام مالك بين المعنى المعلوم من هذا اللفظ، وبين الكيف الذي لا يعقله البشر. وهذا هو ما اختاره الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، فقد قال المُلاّ علي القاري بعد أن ذكر قول الإمام مالك المتقدم: (اختاره إمامنا الأعظم وكذا كل ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهات من ذكر اليد والعين والوجه ونحوها من الصفات)[2].

وما قاله الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في صفة الاستواء هو ما دلت عليه الأدلة الصريحة من كتاب الله فقد ذكر استواء الله على عرشه في سبعة مواضع من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وكذا جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على صفة الاستواء والعلو، وقد تقدم ذكر بعضها عند الكلام على صفة العلو، من تلك الأحاديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب هو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي»[3].

قال ابن المبارك: (نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى، بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية)[4].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٩٠، ٢٩١).

(٢) شرح الأمالي (ص ٣١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (١٣/ ٣٨٤ ح ٧٤٠٤) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

- ومسلم: كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٧ ح ٢٧٥١) من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

- والترمذي: كتاب الدعوات باب خلق الله مائة رحمة (٥/ ٥٤٩ ح ٣٥٤٣). وابن ماجة: كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٢/ ١٤٣٥ ح ٤٢٩٥).

كلاهما من طريق ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة.

(٤) السنة (ص ١٣)، والرد على الجهمية للدارمي (ص ٦٧، ١٦٢)، والرد على المريسي (ص ١٠٣)، والأسماء والصفات (ص ٤٢٧).

وقال الشافعي رحمه الله: «. . . وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء . . .»[1].

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حدٍّ ولا صفة يبلغها واصف . . .»[2].

(٢) النـــزول :

يثبت أهل السنة والجماعة نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ومن غير تأويل[3] ولا تكييف، لتواتر[4] رواه ثمانية وعشرون صحابياً. فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»[5].

قال أبو عثمان[6] الصابوني: (فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ولم يعتقدوا تشبيهاً بنزول خلقه، وعلموا

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٦٥)، والعلو للذهبي (١٢٠) وغيرها.
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٠).
(٣) أوَّلَ بعض المتكلمين صفة النزول بنزول أمر الله ورحمته أو نزول ملك من الملائكة، انظر الرد على هذه التأويلات في كتاب شرح حديث النزول (ص ١٩٧).
(٤) ممن قال بتواتر حديث النزول من أهل العلم، ابن القيم في تهذيب السنن (٧/ ١٠٨)، والذهبي في كتاب العلو (ص ٧٣-٧٩)، وابن عبدالهادي في الصارم المنكي (ص ٣٠٤)، وأبو زرعة الرازي كما في عمدة القاري (٧/ ١٩٩)، والكتاني في النظم المتناثر (ص ١٩١)، وعبدالرحمن بن سعدي في توضيح الكافية الشافية (ص ١٤٧).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (٣/ ٥٩) وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل؟ (١/ ٤٣٥ ح ١٣٦٦)، وابن أبي عاصم في السنّة (١/ ٢١٧) جميعهم من طريق أبي سلمة بن عبدالرحمن وأبي عبدالله الأغر عن أبي هريرة. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء (١/ ٥٢١ ح ٧٥٨)، وأبو داود: كتاب الصلاة باب أي الليل أفضل؟ (٢/ ٧٦ ح ١٣٥)، والترمذي: كتاب الدعوات (٥/ ٥٢٦ ح ٣٤٩٨)، وعبدالرحمن الدارمي في السنن (١/ ٢٨٦).
جميعهم من طريق أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة.
(٦) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري أبو عثمان الصابوني قال عنه السبكي: (الفقيه المحدث المفسر الخطيب الواعظ الملقب بشيخ الإسلام) مات سنة ٤٤٩ هـ. طبقات الشافعية (٤/ ٢٧١)، وانظر ترجمته في شذرات الذهب (٣/ ٢٨٢)، والعبر (٣/ ٢١٩).

وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً)[١].

وممن نص على ذلك الإمام أبو حنيفة، فقد سئل عن النزول فقال: (ينزل بلا كيف)[٢].

وقال الشافعي رحمه الله: «... وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[٣].

(٣-٤) صفتا الغضب والرضا :

يثبت أهل السنة والجماعة صفتي الغضب والرضا من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، فيرضى عن المحسنين، ويسخط على الفسقة والكافرين، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] . وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]. وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل وفيه: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ...»[٤].

وقول النبي ﷺ : «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسَعْدَيك والخير بيدك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»[٥].

---

(١) اعتقاد السلف أصحاب الحديث (ص ٤٢).

(٢) اعتقاد السلف أصحاب الحديث (ص ٤٢)، وجلاء العينين (ص ٣٥٣).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٦٥)، والعلو للذهبي (١٢٠) وغيرها .

(٤) أخرجه البخاري : كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ (٦/ ٣٧١ ح ٣٣٤٠)، ومسلم : كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٤ ح ٣٢٧) كلاهما من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة.

(٥) أخرجه البخاري : كتاب الرقائق باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤١٥ ح ٦٥٤٩)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً (٤/ ٢١٧٦ ح ٢٨٢٩). كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

وما تدل عليه تلك النصوص من إثبات صفتي الغضب والرضا هو ما يعتقده السلف، ومنهم أبو حنيفة رحمه الله تعالى دل على ذلك قوله: (وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف)[1].

وقوله: (وهو يغضب ويرضى، ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه)[2].

وهذا ما قرره الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه حيث قال: (والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى)[3].

ثانياً - الصفات الفعلية المتعدية:

(١) المحبـــة:

يثبت أهل السنة والجماعة صفة المحبة لله حيث أثبتها الله لذاته المقدسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وأثبتها أعلم الناس بربه نبينا محمد ﷺ حيث قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبَّه، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[4].

وممن نص على ذلك الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى دل على ذلك قوله: (والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله وبمحبته وبرضاه)[5].

وقال عن المعاصي: (كلها بعلمه وقضائه وتقديره، لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره)[6].

---

(٢) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).

(٢) الفقه الأبسط (ص ٥٦).

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٥٧).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله (٢/ ٩٥٣ ح ١٥)، والبخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل (١٣/ ٤٦١ ح ٧٤٨٥)، ومسلم كتاب البر والصلة باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده (٤/ ٢٠٣٠ ح ١٥٧). جميعهم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

(٥) الفقه الأكبر (ص ٣٠٣).

(٦) الفقه الأكبر (ص ٣٠٣).

ووصف نبينا محمداً ﷺ بأنه حبيب رب العالمين حيث قال: «ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبُه وعبده ورسوله ونبيه»[1].

وقرر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه، حيث قال: (وإنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين)[2].

وقال: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً[3] وكلم موسى تكليماً إيماناً وتصديقاً وتسليماً)[4].

(٢) الرزق :

من صفات[5] الأفعال المتعلقة بالخلق الرزق، فالرازق والرزَّاق اسمان من أسماء الله تعالى، دالان على أنه تعالى خلق الأرزاق للخلق وأوصلها إليهم، وخلق لهم أسباب التمتع[6] بها. قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

فالله هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها[7] قال تعالى: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق: ١٠، ١١].

وقال النبي ﷺ : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكُّلِه لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً[8] وتروح بطاناً[9]»[10].

---

(١) الفقه الأكبر (ص ٣٠٣).

(٢) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٢ ، ٢٣).

(٣) وكذا ثبتت الخُلَّةُ للنبي ﷺ دل على ذلك قول النبي ﷺ : « فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

(٤) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٣٨).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٣٦٠).

(٦) المقصد الأسنى (ص ٨٤، ٨٥).

(٧) انظر : الأسماء والصفات (ص ٨٧)، ط دار الكتب العلمية.

(٨) خماصاً : الخماص الجياع البطون من الغذاء، قاله ابن الأثير في جامع الأصول (١٠/ ١٤٠).

(٩) بطاناً : البطان الشِّبَاع الممتلئات، قاله ابن الأثير في جامع الأصول (١٠/ ١٤٠).

(١٠) أخرجه الترمذي : كتاب الزهد باب في التوكل على الله (٤/ ٥٧٣ ح ٢٣٤٤). والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٨) كلاهما من طريق أبي تميم الجيشاني عن عمر بن الخطاب قال الترمذي على إثره : (هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه) وقال الحاكم : (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وأقره الذهبي في التلخيص.

ورزق الله لعباده نوعان :

رزق عام : شمل جميع الخلق أولهم وآخرهم، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم.

قال النبي ﷺ : «ما أحدٌ أصبرَ على أذى سمعه من الله، يدعون له الولـد، ثم يعافيهم ويرزُقُهم»[(١)].

وهذا الرزق هو رزق الأبدان.

ورزق خاص : هو رزق الـقلوب وتغذيتـها بالإيمان والعـلم والرزق الحلال الذي يعـين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم معه بحسب حكمته ورحمته[(٢)].

وأثبت السلف رحمهم الله تعالى اسم الرازق وما يدل عليه، دل على ذلك قول أبي حنيفة: (كان الله تعالى خالقاً قبل أن يَخْلُقْ ورازقاً قبل أن يَرْزُق)[(٣)].

وقرر هذا الطحاوي في بيـان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حـنيفة وصاحبيه، حيث قال: (رازق بلا مؤنة)[(٤)].

(٣) الخلـــــق :

من صفات الله الفعلية الخلق، والخلق له معنيان:

المعنى الأول : التقدير.

المعنى الثاني : الإيجاد والإنشاء على غير سَبْق[(٥)].

فالخالق والخلاّق اسمان من أسماء الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (١٣/ ٣٦٠ ح ٧٣٧٨) من طريق أبي عبدالرحمن السلمي عن أبي موسى الأشعري.

(٢) تفسير كلام المنان لابن سعدي (٥/ ٦٢٦، ٦٢٧) بتصرف، والحق الواضح المبين (ص ٤٥).

(٣) الفقه الأكبر (ص ٣٠٤).

(٤) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٠).

(٥) انظر : كتاب شأن الدعاء (ص ٤٩)، واشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص ١٦٦ ١٦٨).

وقال تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وقول النبي ﷺ : « لما خلق الله الخَلْقَ كتب في كتاب هو عنده فوق العرش إن رحمتي تَغْلِبُ غضبي»(١).

وهذا هو ما يعتقده السلف الصالح، وقد عبر عن ذلك بعضهم، فمن ذلك ما قاله أبو حنيفة: (وأما الفعلية فالتخليق والإنشاء والإبداع والصنع)(٢).

وقال: (وكان الله تعالى خالقاً قبل أن يَخْلُقْ)(٣).

وقال: (وكان الله تعالى خالقاً في الأزل ولم يَخْلُقِ الخلق)(٤).

وقرر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه، حيث قال: (خالق بلا حاجة)(٥).

وقال: (كما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم)(٦).

(٤) الإحياء والإماتة :

من صفات الله الفعلية الإحياء والإماتة، ومن أسماء الله تعالى المحيي والمميت، فالمحيي يدل على أن الله هو الذي يحيي النطفة الميتة فيخرج منها نَسْمَةَ الحياة ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، ويحيي القلوب بنور المعرفة، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق(٧).

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) الفقه الأكبر (ص ٣٠١).
(٣) الفقه الأكبر (ص ٣٠٤).
(٤) الفقه الأكبر (ص ٣٠٢).
(٥) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٠).
(٦) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٠).
(٧) كتاب شأن الدعاء (ص ٧٩)، والأسماء والصفات (ص ٩٥) بتصرف.

والمميت يدل على أن الله يميت الأحياء ويوهن بالموت قوة الأصِحَّاء الأقوياء.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩].

فَتَمَدَّحَ ذاته سبحانه وتعالى بالإماتة كما تمدَّح بالإحياء ليُعلم أن مصدر الخير والشر والنفع والضر من قِبَلِه وأنه لا شريك له في الملك، استأثر بالبقاء وكتب على خلقه الفناء[١].

قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه: (وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم)[٢].

وقال: (مميت بلا مخالفة، باعث بلا مشقة)[٣].

فالله هو الذي يحيي الخلق يوم النشور، ويبعث من في القبور، ويُحَصِّل ما في الصدور[٤].

* * *

(١) انظر كتاب شأن الدعاء (ص٨٠)، وكتاب الأسماء (ص ٩٦).
(٢) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٠).
(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص ٢٠).
(٤) المقصد الأسنى (ص ١٢٣).

الباب السابع
ما يناقض التوحيد وينافيه بالكلية

ويتضمن :

الفصل الأول :

نواقض التوحيد :

- الناقض الأول : الكفر .
- الناقض الثاني : النفاق.
- الناقض الثالث : الشرك .

الفصل الثاني :

صور من الأعمال الشركية الموجودة فى بعض المجتمعات الإسلامية مثل :

الرقى - التمائم - لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه - التبرك بالشجر والحجر ونحوهما - الطيرة - ادعاء علم الغيب - السحر - الكهانة والعرافة- التنجيم - تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها بالقرابين والنذور - زيارة القبور .

الفصل الأول
نواقض التوحيد
الناقض الأول
من نواقض التوحيد - الكفر

(أ) تعريفه :

الكفر لـغــة : التغـطية والستر. وشرعـاً : ضد الإيمان - فإن الكفر عدم الإيمـان بالله ورسله - سواء كان معـه تكذيب أو لم يكن معه تكذيـب، أو شك وريب أو إعراض أو حسد أو كبر أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفراً.

(ب) أنواعـــه - الكفر نوعان :

النوع الأول : كفر أكبر يخرج من الملة وهو موجب للخلود في النار، وهو خمسة أقسام :

القسم الأول - كفر التكذيب :

وهو الإخبار عـن الحق بخلاف الواقع أو ادعاء أن الـرسول جاء بخلاف الحق، ويـدل عليه قوله سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

القسم الثاني - كفر إباء واستكبار مع التصديق :

وذلك بأن يقـر أن ما جاء به الرسول حـق من ربه لكنه يرفـض اتباعه أشراً وبطـراً واحتقاراً للحق وأهله، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾[البقرة: ٣٤].

القسم الثالث - كفر الشك :

وهو التردد في اتباع الحق أو التردد في الجزم بأنـه حق، إذ المطلوب هو اليقين بأن ما جاء به الرسول من ربه حق لا شك فيه. ومن ذلك أن يغلب على ظنه أنه الحق لكنه يجوز أن يكون ليس

حقّاً، وهو كفر الظن، قال تعالى: ﴿ ودَخَلَ جَنَّتَهُ وهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ولَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٥ - ٣٨].

فمن تردد في اتباع ما جاء به الرسول أو جوَّز أن يكون الحق خلافه، فقد كَفَرَ كُفرَ شك وظن.

القسم الرابع - كفر الإعراض :

وهو ترك الحق لا يتعلمه ولا يعمل به، سواء كان أقوالاً أو أفعالاً أو اعتقادات جملة وتفصيلاً. يقول تعالى: ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣]. فمن أعرض عما جاء به الرسول ﷺ من ربه بالقول كأن قال: لا أتبعه ولا أفعله أو لا حاجة لي في ذلك. أو بفعله بأن إذا سمعه قام لئلا يسمعه، أو وضع أصابعه في أذنيه، حتى لا يسمعه، أو هَرَبَ من الأماكن التي يذكر فيها الحق، أو أنه يسمعه لكنه يصرف قلبه عن الإيمان به وجوارحه عن العمل به فهو كافر كفر إعراض.

القسم الخامس - كفر نفاق :

وهو إظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ مع رفضه وجحده بالقلب، فهو مظهر للإيمان به مبطن للكفر به، قال سبحانه: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة - وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر - فمن ذلك كفر النعمة وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿ وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ [النحل: ١١٢].

وأيضاً الكفر المقصود في قوله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت»[1]. فهذا كذلك من كفر النعمة.

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

وكذلك الحلف بغير الله تعالى. قال ﷺ : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[1]. لكن إذا كان الحالف معظماً للمحلوف به يخافه ويرجوه، فقد يدخله ذلك في الكفر الأكبر.

وأيضاً قتال المسلم المذكور في قوله ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2].

وفي قوله ﷺ : «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[3]. فإنه ليس كفراً أكبر مخرجاً من الملة لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فإن الله تعالى أثبت اسم الإيمان للمقتتلين رغم ارتكابهم لكبيرة من الكبائر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم ينف الإيمان عن القاتل بل جعله أخاً لوليّ القصاص فقال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]. والمراد بالأخوة هنا أخوة الدين بلا ريب.

(ج) أمثلة على ألفاظ وأفعال هي من الكفر :

هناك ألفاظ تعتبر كفراً وذلك بالنظر إلى أن فيها نوعاً من الاستهزاء بالله تعالى وشرعه وملائكته وغير ذلك، أو لأن فيها جحوداً لمعلوم من الدين بالضرورة، أو تشبيهاً لله تعالى بخلقه، كما أن هناك أفعالاً تعتبر كفراً لنفس الأسباب، ونحن نورد هنا أمثلة على هذه الألفاظ والأفعال التي هي من الكفر، ليكون المسلم منها على حذر، حتى يحفظ إيمانه وتوحيده مما يخدشه أو ينقضه.

أولاً - أمثلة على ألفاظ الكفر :

(١) سب الله تعالى، أو سب دين الإسلام، أو سب الملائكة أو احدهم.

(٢) سب النبي ﷺ ، أو سب أحدٍ من الرسل.

(٣) الاستهزاء والسخرية بالله وملائكته أو رسله أو الدين.

(٤) من قال :أنا لا أخاف الله. أو : أنا لا أحب الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٥) من قال : إن بعض الناس يمكنه التصرف في الكون كله أو بعضه.

(٦) من قال : اليهودية أو النصرانية خير من دين الإسلام.

(٧) من دعا غير الله وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، كشفاء المريض ورد الغائب وقضاء الحاجات، معتقداً ذلك.

(٨) من قال : الزنا حلال. أو : الخمر حلال ونحو ذلك.

(٩) من قال : ليتني لم أكن مسلماً. أو قال : أنا يهودي. أو: نصراني، عامداً عالماً راضياً.

(١٠) من قال : إن تعاليم الإسلام لا تناسب زماننا الحالي. مُعتقداً ذلك.

ثانياً - أمثلة على أفعال الكفر :

(١) السجود لغير الله تعالى.

(٢) الذبح لغير الله تعالى من صنم أو وليّ صالح تعظيماً له.

(٣) إلقاء المصحف وما فيه ذكر الله في أماكن القذارة عمداً وهو يعلم.

(٤) الحكم بغير ما أنزل الله تعالى معتقداً جواز ذلك.

(٥) عمل السحر وتعلمه وتعليمه معتقداً جوازه.

(٦) الطواف بالأضرحة وقبور الصالحين تعظيماً لها.

(٧) لبس شيء من شعار أهل الكفر كالصليب ونحوه عالماً عامداً راضياً بذلك.

(٨) مشاركة أهل الكفر في عبادتهم كصلاتهم ونحوها عامداً عالماً راضياً بذلك.

(٩) هدم المساجد الإسلامية ونحو ذلك عامداً عالماً.

(١٠) بناء دور العبادة للمشركين كمعابد اليهود وكنائس النصارى ونحو ذلك عامداً عالماً راضياً.

(د) الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر :

(١) الكفر الأكبر يخرج صاحبه من الملة ويحبط جميع أعماله، والكفر الأصغر لا يخرج صاحبه من الملة ولا يحبط الأعمال لكن ينقصها بحسبه ويعرض صاحبها للوعيد وقد يحبط العمل الذي يقع فيه، مثل الرياء. لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه».

(٢) الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر لا يخلد صاحبه في النار إن دخلها. وقد يعفو الله عنه فلا يدخله النار أصلاً.

(٣) الكفر الأكبر يبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

(٤) الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب. وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالى بقدر ما فيه من الإيمان ويبغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان.

(هـ) الردة - أقسامها وأحكامها :

الردة لغة : الرجوع كما جاء في قوله تعالى: ﴿ولا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُم﴾ [المائدة: ٢١].

واصطلاحاً : الرجوع إلى الكفر بعد الدخول في الإسلام، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ومَن يَرْتَدِدْ منكُمْ عَن دينه فَيَمُتْ وهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أقسام الردة :

تقع الردة إذا ارتكب الشخص ناقضاً من نواقض الإسلام، وهي متعددة لكنها ترجع إلى أربعة أقسام :

(١) ردة بالقول : كمن وقع في سب الله تعالى أو رسوله، أو سب الملائكة أو الرسل أو دعا غير الله أو استغاثه فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ونحو ذلك.

(٢) ردة بالفعل : كالسجود لغير الله تعالى، أو الذبح له، أو إهانة المصحف عمداً، أو عمل السحر، وتعلمه وتعليمه والحكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاد إباحته.

(٣) الردة بالاعتقاد : كاعتقاد شريك مع الله، أو اعتقاد إباحة شيء من المحرمات أو حرمة شيء من المباحات أو اعتقاد عدم وجوب شيء من الواجبات المجمع على وجوبها المعلومة من الدين ضرورة.

(٤) الردة بالشك : كمن شك في تحريم شيء من المحرمات المعلوم تحريمها، أو شك في إباحة شيء مما علم بالسنة، أو شك في شيء من مسائل أصول الاعتقاد.

الأحكام المترتبة على الردة بعد ثبوتها :

يترتب على الحكم بالردة إذا ثبتت في حق شخص عدة أحكام هي:

(١) وجوب استتابته : أي دعوته إلى الرجوع للإسلام والإقلاع عن ردته. وذلك مدة ثلاثة أيام فإن تاب ورجع قُبل ذلك منه.

(٢) قتله إذا أصر على الردة : وذلك لقوله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه»[١].

(٣) الحجر على ماله : مدة الاستتابة فلا يتصرف فيه، فإن تاب رجع إليه ماله، وإلا أصبح فيئاً لبيت مال المسلمين.

(٤) التفريق بينه وبين زوجته : إذا كانت باقية على إسلامها فلا يحل له شيء منها بعد ردته.

(٥) انقطاع التوارث : بينه وبين قرابته المسلمين، لا يرثهم ولا يرثونه، وذلك لقوله ﷺ : «لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر»[٢].

(٦) من مات مرتداً لا يغسل بعد موته، ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين على الإطلاق.

(٧) الخلود في النار : يحكم له بالخلود في النار إن مات على ردته، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه الجماعة.

الناقض الثاني

من نواقض التوحيد - النفاق

(أ) تعريفـــــــه :

النفاق هو إظهار الإسلام والخير وإبطان الكفر والشر. سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر. وعلى ذلـك نبه الله تعالى بقوله: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شـراً من الكافرين فقال : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾[البقرة: ٩، ١٠].

(ب) أنـــــواع النفــاق – النفاق نوعان :

النوع الأول : النفاق الاعتقادي :

وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويـبطن الكفر - وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

وهذا النفاق ستة أنواع :

(١) تكذيب الرسول ﷺ .

(٢) تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

(٣) بغض الرسول ﷺ .

(٤) بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

(٥) المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ .

(٦) الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ .

النوع الثاني – النفاق العملي :

ويقصد به ارتكاب خصلة من خصال النفاق من غير مصير إلى الكفر وذلك مع بقاء أصل الإيمان في القلب، والنفاق العملي لا يخرج صاحبه من الملة، لكنه على خطر عظيم، وهو جامع بين الإيمان وبين خصال النفاق.

(ج) أمثلة على النفاق الاعتقادي والعملي :

أولاً – أمثلة على النفاق الاعتقادي :

(١) عدم تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام فيما أخبر به، أو ادعاء عدم وجوبه كالصلاة وعدم وجوب تصديقه كالزكاة والجهاد، وغير ذلك.

(٢) بغض شيء من شرائع الإسلام التي جاء بها الرسول ﷺ .

(٣) الفرح بانهزام المسلمين أمام الكافرين في معركة معينة، أو طمس معالم الإسلام في بلد معين.

(٤) الحزن عند انتصار المسلمين، أو الحزن عند ظهور شرائع الإسلام في بلد ما.

ثانياً – أمثلة على النفاق العملي :

(١) إخلاف الوعد وذلك بأن يَعِدَ الإنسان بشيء وفي نيته عدم الوفاء بهذا الوعد.

(٢) الكذب على الناس في حديثه.

(٣) خيانة الأمانة إذا ائتمن على شيء معين، والدليل على ذلك قوله ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[١].

(٤) الغدر بالعهد بعد أن يعاهد الإنسان غيره على أمر معين.

(٥) الفجور في الخصومة مع الغير بأن يفضحه بما يعلم عنه ويعيره ولا يتقي الله فيه.

غير أن كل هذه الأعمال من النفاق الأصغر الذي لا يكفر صاحبه، إنما يكون فيه خصال من خصال المنافقين مع بقاء إطلاق اسم الإسلام عليه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(د) الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر :

(١) النفاق الأكبر يخرج من الملة ويحبط الأعمال فهو نوع من الكفر في الحقيقة والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة وإنما يحبط العمل الذي يقع فيه.

(٢) النفاق الأكبر هو التناقض بين السر والعلانية في الاعتقاد. والنفاق الأصغر تناقض بين السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

(٣) النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

(٤) النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم. بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه.

(هـ) أثر النفاق على الفرد والمجتمع :

للنفاق عموماً آثار خطيرة جداً على المجتمع المسلم، وعلى الفرد، سواء كان نفاقاً عملياً أم اعتقادياً، فمن هذه الآثار :

(١) خروج الإنسان من الإسلام إذا كان نفاقه اعتقادياً، ودخوله النار، مع ثبوت أشد العذاب في حقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥].

(٢) أن يصبح الإنسان متصفاً بأسوأ الصفات والتي هي من صفات المنافقين إن كان فعله من جنس النفاق العملي بحيث ينقص إيمانه جداً، ويسقط من عين الله تعالى ومن عين الناس، ويكون مستحقاً للذم.

(٣) انتشار العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، وانعدام الثقة بينهم عند اتصاف البعض بصفات النفاق العملي أو الاعتقادي.

(٤) ضعف المجتمع وتفسخه، وعدم قدرته على مقاومة الأخطار المحيطة به، أو مواجهة أعدائه، إذا كثر بين أفراده من هم من المنافقين نفاقاً اعتقادياً، فإنهم يكونون ألد أعداء المجتمع، وأشدهم خطراً عليه لأنهم من داخله. أو كان فيهم منافقون نفاقاً عملياً لما يكون بينهم من العداوة والتقاطع والتدابر والتباغض، فتكون الجبهة الداخلية غير متماسكة وغير متحدة.

الناقض الثالث

من نواقض التوحيد - الشرك

(أ) تعريفه :

الشرك هو مساواة المخلوق بالخالق في ربوبيته أو صفاته، أو صرف العبادة إلى غيره.

(ب) لماذا ندرس الشرك؟ :

ندرس الشرك ونتعرف عليه لعدة أسباب هي كما يلي:

(١) أن الشرك هو أعظم ذنب يقع من الإنسان، ومجلبة لغضب الله تعالى، وسبب للخلود في النار. فوجب أن نتعرف عليه حتى نحذره ولا نقع فيه، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

ومن المعلوم أن الإنسان يجب عليه معرفة موطن الخطر عليه حتى يتجنبه.

(٢) أن التوحيد هو حق الله تعالى الواجب له، ولهذا كان الشرك أظلم الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] لهذا وجب على الإنسان معرفة الشرك حتى لا يقع فيما يناقض توحيده، ويضيع حق ربه عليه، فيكون متصفاً بالظلم مع الشرك.

(ج) سبب وقوع الشرك :

سبب وقوع الشرك في بني آدم عموماً هو الغلو في الصالحين، كما قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان هؤلاء رجالاً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا لهم أنصاباً، فعكفوا عليها، حتى إذا طال عليهم الأمد عبدوهم»[١].

من هذا يتضح أن من أخطر الأمور على التوحيد، الغلو في شأن الصالحين من الموتى، وعمل الأضرحة والمشاهد لهم، والعكوف عندها وصرف العبادة لها من دون الله تعالى، فإن هذا من أعظم أبواب الشرك.

(د) هل يقع الشرك في هذه الأمة؟ :

لقد وقع بالفعل في هذه الأمة أنواع من الشرك، منها ما وقع منذ قرون وما زال موجوداً،

(١) رواه البخاري وغيره.

كالإشراك بالصالحين، وصرف العبادة لهم والنذر والعكوف عند قبورهم ودعائهم من دون الله، وهذا موجود مشاهد في كثير من البلدان الإسلامية ولا ينكر ذلك عاقل بل لقد وُجِدَ قبل حوالي قرنين من الزمن من كان يعبد شجراً أو حجارة حتى في الجزيرة العربية قبل أن يمن الله عليها بزوال مظاهر الشرك هذه.

وقد ثبت عن النبي ﷺ الخبر بأن الشرك يقع في هذه الأمة، حتى في أوضح صوره وهي عبادة الأصنام، فقد ورد عنه ﷺ قوله : «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد الأوثان . . .»[1].. وثبت عنه ﷺ أنه قال : «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة»[2]، وذلك إشارة إلى الطواف بهذا الصنم الذي كانوا يعبدونه من دون الله، والازدحام الحاصل حوله.

(هـ) أنواع الشرك :

ينقسم الشرك إلى نوعين : أكبر ، وأصغر .

(١) الشرك الأكبر :

وهو الذي لا يغفره الله تعالى أبداً، ويكتب لصاحبه الخلود في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وهو أقسام سيأتي بيانها.

(٢) الشرك الأصغر :

وهو دون الشرك الأكبر، كالرياء ونحوه، وسيأتي الكلام عنه.

(و) النوع الأول من الشرك وهو الشرك الأكبر :

(١) معناه :

هو صرف شيء من العبادة لغير الله، كالخوف من غير الله واعتقاد أنه مالك للنفع والضر، ومحبته كمحبة الله تعالى، والذبح له، وتعظيمه كتعظيم الله، ونحو ذلك، وكذلك مساواة غير الله بالله في أمر الربوبية، أو الأسماء والصفات الإلهية.

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجة والحاكم.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) أقسام الشرك الأكبر :

للشرك الأكبر أربعة أقسام، وهي كالتالي :

الأول : شرك الدعوة أي الدعاء :

وهو دعاء غير الله كدعاء الله مسألة وعبادة. فإن كان المقصود بالدعاء طلب النفع أو دفع الضر، سمي: دعاء مسألة. وإن كان المقصود الذل والخضوع والانكسار بين يدي الله، يسمى: دعاء عبادة. وسواء كان الدعاء دعاء عبادة، أو دعاء مسألة فلا يجوز التوجه به لغير الله، لأنهما لا يعبد بهما غير الله سبحانه، وصرفهما أو أحدهما لغير الله شرك في الدعاء، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] .

ولما أطلق الله تعالى على الدعاء اسم العبادة دل على أنه من أجلِّ العبادات وأفضل القربات وأعظم الطاعات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء: ٣٢]. وقال ﷺ : «الدعاء هو العبادة»[١] . وقال عليه الصلاة السلام : «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»[٢] .

ولهذا فإن دعا غير الله كان من الشرك، وفاعله مشرك. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

الثاني : شرك النية والإرادة والقصد :

وذلك إذا نوى الإنسان وقصد بعمله أصلاً غير الله تعالى، وهو شرك اعتقادي ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ١، ٢]. وقوله سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦]

---

(١) اخرجه احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة وابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في شعب الإيمان وابن حبان وابن جرير في تفسيره من حديث النعمان بن بشير.

(٢) اخرجه أحمد والترمذي والحاكم والبخاري في الأدب عن أبي هريرة.

فأوضحت الآيات أن من أراد بعمله الدنيا لا غير أعطاه الله من الدنيا ما أراد، لكن عمله حابط في الآخرة وليس له إلا النار.

وأما دخول بعض النيات الفاسدة، والمقاصد السيئة على إرادة العبد في بعض الأعمال، فإن ذلك لا يخرجه عن ملة الإسلام. لكن قد ينقص أجره، أو يؤدي إلى فساد بعض الأعمال من غير أن يخرج من الإسلام.

الثالث - شرك الطاعة:

وهو المساواة بين غير الله وبين الله في التشريع والحكم وذلك لأن الحكم والتشريع حق من حقوقه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وقال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]. وقال جل شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال جل شأنه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. وقد فسرها النبي ﷺ بأنها طاعتهم في تحليل الحرام، وتحريم الحلال. فمن ادعى أن لأحد حق التشريع مع الله، أو من دون الله، فقد كفر بما أنزل من عند الله وجعل مع الله إلها آخر يشركه مع الله في حقه. قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فجعل الحكم بغير ما أنزل حكماً بأحكام الجاهلية. وأوضح أنه لا أفضل ولا أجل من حكمه لمن آمن به.

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] فسمى من يحكم بغير ما أنزل الله طاغوتًا: وهو ما عبد من دون الله من معبود أو متبوع أو مطاع وكان راضياً بتلك العبادة. وبين أنه أمرهم أن يكفروا بهذا الطاغوت. وذلك بأن يؤمنوا أنه لا حكم ولا حاكم إلا حكم الله ورسوله. وبين أن التحاكم إلى الطاغوت هو مما يحبه الشيطان ويرضاه، وأنه من الضلال العظيم.

الرابع – شرك المحبة :

وذلك بأن يحب مع الله غيره كمحبته لله أو أشـد، محبة مستلزمة لغاية الذل والخضوع كما قال سبحانه : ﴿ ومنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والمعنى : أن من المشركين من يجعل لله نظيراً ومثيلاً يحبه كمحبته لله أو أكثر من محبته لله ويختلف ذلك على حسب اختلاف المشركين فـي درجة حبهم لما يعبدونه من دون الله من الأنداد، ولكن المؤمنين محبتهم لله أشد من محبة المشـركين لما يعبدونه، أو أن محبة المؤمنين لربهم أشد من محبة المشركين لله، لأن محبة المشركين له فيها شريك وأما محبة المؤمنين فهي محبة خالصة لله.

(ز) النوع الثاني من أنواع الشرك – الشرك الأصغر :

شرك أصغر وهو دون الـشرك الأكبر، ولا يخرج صاحبـه من الإسلام لكنه ينقـص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول – الشرك الظاهر :

وهو : ألفاظ وأفعال. فالألفاظ كالحلف بغير الـله، عن ابن عمر قال: لا يحلف بغير الله. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[1].

وقول : ما شـاء الله وشئت، وقـول: لولا الله وفلان. والصـواب أن يقال ما شاء الـله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان، لأن ثم تفيـد الترتيب مع التراخي فتجعل مشيئة العبـد تابعة لمشيئة الله قال تعالى: ﴿ ومَا تَشَاءُونَ إلاَّ أن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]. ولما قـال رجل للنبي ﷺ : «ما شاء الله وشئت. قال له أجعلتني للـه عدلاً (ندا) قل ما شاء الله وحده»[2].

وأما الواو فهي لمطلق الجمع والاشتراك، لا تفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا، ومثله قول: ما لي إلا الله وأنت، وهذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال : فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البـلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفاً من

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذي وأحمد والحاكم وغيرهم.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وغيرهم.

العين وغيرها إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر، لأن الله لم يجعل هذه أسباباً. أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر، لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني - الشرك الخفي :

وهو الشرك في الإرادات والنيات - كالرياء والسمعة - كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه، كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه، والرياء إذا خالط العمل أبطله.

قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال النبي ﷺ : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر - قالوا يا رسول الله : وما الشرك الأصغر؟ - قال : الرياء»(١).

ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال. قال النبي ﷺ : «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط»(٢).

(ح) الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :

مما مر يتبين أن هناك فروقا بين الشرك الأكبر والأصغر وهي :

(١) الشرك الأكبر يخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

(٢) الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها.

(٣) الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي خالطه الرياء أو كان العمل لأجل الدنيا فقط.

(٤) الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.

---

(١) حديث حسن رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٥) الشرك الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً بل صاحبه يُحَبُّ ويُوَالَى بقدر ما فيه من الإيمان ويُعَادَى بقدر ما فيه من العصيان.

(ط) الآثار السيئة للشرك على الفرد والمجتمع :

الآثار السيئة للشرك على الفرد والمجتمع كثيرة، منها :

(١) تعبيد الناس بعضهم لبعض من دون الله، وهذا حط من كرامة الإنسان وإهانة له بإذلاله لمن لا يستحق.

(٢) انتشار البدع والخرافات بين الناس بسبب العقائد الفاسدة فيصدق الجهال بكل ما يقال لهم.

(٣) تضييع خالص حق الله تعالى على الناس بصرف العبادة لغيره تبارك وتعالى رغم أنه لا يستحقها سواه.

(٤) أن الإنسان المشرك يتسبب بشركه هذا في إحباط جميع عمله، واستحقاقه للخلود في النار.

(٥) أنه وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل من قِبَل سدنة الأضرحة والمشاهد والأوثان وغيرهم من أهل الفتنة الذين يزينون للناس الشرك والفساد.

(٦) أن المجتمع الذي ينتشر فيه الشرك يمتلئ بالفواحش والمعاصي والظلم، لأنه إذا كان قد سمح للشرك بالتفشي فيه والانتشار فلن يمنع ما دون الشرك من الكبائر والفواحش وأنواع الظلم.

(٧) أنه سبب لشيوع الوهن والضعف النفسي والروحي نتيجة للتوكل على غير الله تعالى وطلب العون منه.

إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة السيئة.

* * *

الفصل الثاني
الكلام على صور من الأعمال الشركية
الموجودة في بعض المجتمعات الإسلامية

تمهيـــــد :

لما كان الشرك أحد نواقض التوحيد والإيمان، وحيث سبق الكلام عن الشرك وأنواعه كان من المناسب الكلام عن بعض الأعمال الشركية المنتشرة في كثير من المجتمعات الإسلامية.

فالتمائم منها ما هو شرك ومنها ما ليس كذلك، وكذلك الرقى وغيرهما مما سيأتي تفصيله.

لذلك كان الـواجب على المسلم الـتعرف على المشروع من ذلـك ليعمل به، وعلـى الممنوع ليتجنبه ويـحذر منه، وسنورد في الفقرات التالـية الجائز بأدلته، والممنوع بأدلتـه. فقد اختلط ذلك الأمر على كثير من الناس نتيجة الجهل بالعلوم الشرعية، وذلك بسبب التلبيس على الناس من قِبَلِ المستفيدين من هذه البدع لأكل أموال الناس بالباطل، والله المستعان.

الصورة الأولى
الرقـــــى

(أ) معنى الرقية :

الرقى : جمع رقية وهي العُوْذَة التي يرقى بـها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات وتسمى عند بعض الناس العزائم.

(ب) أنواعها وحكم كل نوع :

النوع الأول - الرقى المشروعة :

وهي ما كان خـاليًا من الشرك بأن يـقرأ على المريض شـيء من القرآن أو يعوذ بأسـماء الله وصفاته فهذا مباح، لأن النبي ﷺ قد رقى نفسه وغيره وأمر بالرقى وأجازها.

عن عوف بن مالك رضي اللـه عنه قال : كنا نرقي في الجاهلية فقلـنا : يا رسول الله كيف ترى في ذلك. فقال : «اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا»[1].

شروط الرقية الشرعية :

إن للرقية المشروعـة شـروطاً ذكرهـا أهـل العلم يـنبغي معرفتها والاهتمام بـها والعمل على توفرها عند الرقية. فقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شـروط :

الأول : أن تكون بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته أو بالأدعية النبوية.

الثاني : أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.

الثالث : أن يعتقد الإنسان أن الرقى لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

كيفيتهـــا :

أن يقرأ الآيات القرآنية أو الأدعية النبوية الواردة ويـنفث على المريض، كما جاء فـي حديث عائشـة رضي الله عنها : «أن النبي ﷺ كان يقول للمريض : بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا»[2].

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) متفق عليه.

النوع الثاني - الرقى الممنوعة :

وهي ما اشتمل على الشرك وهي الرقى التي يستعان فيها بغير الله من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر. وأما إن كان بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه، فيخشى أن يدخلها كفر أو شرك ولا يعلم عنه فهذا النوع من الرقى ممنوع سداً للذرائع.

تنبيـــــــه :

ورد عن الرسول ﷺ أنه رقى ناساً من أهل بيته ومن أصحابه ورقاه جبريل عليه السلام، ورقى عليه الصلاة والسلام نفسه فكل ذلك جائز بل ومستحب.

لكن أن يطلب الإنسان من غيره أن يرقيه فهذا ينافي كمال التوكل على الله وإن كان جائزاً في نفسه، فإن النبي ﷺ قال في وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «هم الذين لا يسترقون ....»[1] أي لا يطلبون الرقية من غيرهم.



(١) رواه مسلم وغيره.

الصورة الثانية

التمائـــم

(أ) معناها :

هي جمع تميمة وهي : ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء.

(ب) أنواعها وحكم كل نوع :

النوع الأول :

ما كان من القرآن، بأن يكتب آيات من القرآن، أو من أسماء الله وصفاته ويعلقها للاستشفاء بها فهذا النوع قد اختلف العلماء في حكم تعليقه على قولين :

القول الأول : الجواز وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وهو ظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر رحمه الله، وأحمد بن حنبل رحمه الله - في رواية عنه - وحملوا الحديث الوارد في المنع من تعليق التمائم على التمائم التي فيها شرك.

القول الثاني : المنع من ذلك، وهو قول ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بما رواه ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرقى والتمائم والتولة[1] شرك»[2].

والقول بالمنع هو الصحيح لوجوه ثلاثة :

الأول : عموم النهي الوارد وليس هناك دليل على التخصيص.

الثاني: سد الذريعة فإنها تؤدي إلى تعليق ما ليس مباحاً.

---

(١) التولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

(٢) حديث صحيح ، رواه أبو داود، وابن ماجة، والحاكم والبغوي في شرح السنة.
وانظر كلام الألباني في الصحيحة ج١ حديث ٣٣١.

الثالث: أنه إذا علق شيئاً من القرآن كان عرضة أن يمتهنه المعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ولا سيما إذا كان من الصبيان.

النوع الثاني من التمائم:

هو ما كان من غير القرآن مما يعلق على الأشخاص، كالخرز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم، فهذا محرم قطعا وهو من الشرك، لأنه تعلق بغير الله سبحانه وأسمائه وصفاته وآياته، وفي الحديث: «من تعلق شيئا وكل إليه»[1].

أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بالله والتجأ إليه وفوض أمره إليه كفاه وقرب إليه كل بعيد ويسر له كل عسير، ومن تعلق بغيره من المخلوقين والتمائم والأدوية والقبور، وكله الله إلى ذلك الذي لا يغني عنه شيئا ولا يملك له ضرا ولا نفعا، فخسر عقيدته وانقطعت صلته بربه وخذله الله.

(ج) موقف المسلم من الرقى والتمائم الشركية:

بعد أن أوضحنا أن من الرقى والتمائم ما هو شرك، وجب علينا أن نعرف موقف المسلم من هذه الأشياء، لأنه من أوجب الواجبات على المسلم المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليتعالج عندهم من الأمراض، لأنهم يمرضون قلبه وعقيدته، ومن توكل على الله كفاه، لذلك كان واجباً على المسلم البعد عن كل أنواع الرقى والتمائم الشركية التي تقدح في إيمانه وإسلامه.

* * *

---

(١) حديث حسن رواه أحمد والترمذي والحاكم.

الصورة الثالثة
لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه

(أ) معنى الحلقة والخيط :

الحلقة : طوق من النحاس كـان المشركون يجعلونها في عُضودهم يزعمـون أنها تحفظهم من العين والجن ونحو ذلك.

الخيط : في الأصل ما يخاط به كان المشركون يعقدون الخيوط على أيديهم ورقابهم يزعمون أنها تدفع عنهم الحمى.

(ب) حكم لبس الحلقة والخيط :

هي من الشرك الأكبر إذا اعتقد أنها تدفع البلاء بنـفسها، أما إذا اعتقد أنها سبب لرفع البلاء فهو شرك أصغر، والكل حرام.

(ج) آثار تعلق القلب بغير الله :

(١) عدم الفلاح والفوز والظفر والسعد في الدنيا والآخرة.

(٢) القلق والتعب النفسي وعدم الراحة والدعة والسكون آثار لدعوة النبي ﷺ حيث قال: «فلا ودع الله له» أي لا جعله في دعة وسكون.

(د) النافع والضار هو الله وحده :

يجب على الـعبد أن يتعلق قلـبه بالله وحده طمعـاً ورجاء وخوفاً وأن يعتمد عـلى الله وحده وأن يفوض الأمور كلها لله وحده فهو وحده الدافع للبلاء وهو الضار والنافع. قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧]. فالله تعالـى هو المتفرد بكشف الضراء وجلب الخير والـسراء فإذا كان وحده النافع والضار فهو الذي يستحـق أن يفرد بالعبودية وأما غير الله فلا يملك كـشف الضر أو جلب النفع، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

الصورة الرابعة

التبرك بالشجر والحجر ونحوهما

(أ) معنى التبرك :

هو طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها.

(ب) حكم التبرك :

التبرك بالأماكن والآثار والأحجار والأشجار والأشخاص أحياء وأمواتاً لا يجوز، لأنه إما أن يكون شركاً، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة، أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله.

(ج) حقيقة تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ :

لقد حاول بعض الناس أن يدافعوا عن التبرك الشركي الممنوع استدلالاً بما ورد من أن الصحابة كانوا يتبركون بآثار النبي ﷺ لكن نقول: إن ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ ، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته ووجوده بينهم بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها ليتبركوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد نبي من الأنبياء، وأيضًا فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائما كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله، فكيف بما يقال إن غيره صلى فيه أو نام عليه؟! فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته ﷺ .

الصورة الخامسة

الطيرة

(أ) معنى الطِّيَرة :

هي التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص، وهي من التطيُّر وأصله فيما يقال : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما فإن العرب كانت تتبرك بالطير أو الحيوان وتزجره فإن أخذ ذات اليمين سمي سانحًا، وإن اتجه ذات الشمال سمي بارحًا، وما أقبل سمي ناصحًا، وإن جاء من القفا (الخلف) سمي معيدًا فكان بعضهم يتشاءمون بالبارح ويتبركون بالسانح، وبعضهم بالعكس.

فلما جاء الإسلام أبطل ذلك ونهى عنه، وبين لهم أنه لا تأثير لذلك في جلب المنافع ودفع الضرر، وبذا يعلم أن الحد الجامع للطيرة هو التشاؤم بالطيور والحيوانات والألوان والأشخاص والأشهر والأيام ونحو ذلك، على وجه يرد عن المطلوب أو يدفع إليه.

(ب) حكمها :

الطيرة محرمة شرعا، وهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد إن كانت بالأقوال أو الأفعال، أو اعتقد بالمقارنة بينها وبين ما يتوقعه من نافع أو ضار.

وأما إن اعتقد أن هذه الأشياء فاعلة بنفسها أو سببٌ مؤثر في جلب النفع أو دفع الضر، فهذا شرك أكبر مناف للتوحيد.

قال ﷺ : «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»[1]، والطيرة تكون في الأقوال والأفعال.

(ج) التوكل يذهب بالطيرة :

إن التوكل على الله تعالى هو أعظم الأسباب لمقاومة التطير. قال ابن مسعود رضي الله عنه في بيان أثر التوكل للقضاء على الطيرة : «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[2].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم والبخاري في الأدب وابن حبان والطحاوي عن ابن مسعود. وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وصححه.

والمعنى : ما منا إلا وقد تحصل منه الطيرة، ولكن يذهب الله ذلك بالاعتماد على الله وتفويض الأمر له.

وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي أنه قال : يا رسول الله ومنا أناس يتطيرون، فقال : «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنه»[1].

(د) كفارة الطيرة :

بيّن ﷺ ما يكفر الطيرة فقال :«من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»[2]، قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال : «أن يقول : اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».

(هـ) أسباب تحريم الطيرة :

إنما حرمت الطيرة لعدة أمور أهمها :

أولاً : ما في الطيرة من نسبة المنافع والمضار والقدرة عليها لغير الله.

ثانياً : ما فيها من الاعتماد والتوكل على غير الله.

ثالثاً : ما فيها من تعلق القلب بغير الله.

رابعاً : ما تولده في نفس العبد من الخوف، وعدم الأمن من المكروه، الأمر الذي يصيب كيانه بالاضطراب وعدم الاستقرار النفسي والذي هو بالتالي مؤثر على خلافته في الأرض.

خامساً : أن الطيرة طريق لنشر الخرافة عن طريق إعطاء كثير من الكائنات قدرات وتأثيرات لا أصل لها مما يكون بريداً للشرك الأكبر.

* * *

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والطبراني وغيرهما عن ابن عمرو وهو صحيح.

الصورة السادسة
ادعاء علم الغيب

(أ) المراد بالغيب :

هو ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلة والماضية وما لا يرونه، وقد اختص الله بعلمه، قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]. فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده وقد يطلع الله بعض رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. أي لا يطلع على شيء من الغيب الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعم الرسول والملائكة والبشر ولا يطلع عليه غيرهم بدليل أن الله لم يذكر إلا الرسل وهم من البشر ومن الملائكة.

(ب) حكم ادعاء علم الغيب :

من ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناه الله من رسله فهو كاذب كافر.

(ج) صور ادعاء علم الغيب :

ادعاء الغيب يكون بواسطة صور متنوعة منها :

(١) قراءة الكف أو الفنجان بعد الشرب منه.

(٢) الكهانة وهي ادعاء علم الغيب وسيأتي الكلام عنها.

(٣) السحر وسيأتي الكلام عنه.

(٤) التنجيم وسيأتي كذلك، ولادعاء علم الغيب صور أخرى.

وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون : فلان عمل لك كذا وكذا فمرضت بسببه. وإنما هو نتيجة لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتلبيس، وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم.

* * *

الصورة السابعة

السحـــر

(أ) تعريف السحر :

هو عزائم وعقد ينفث فيها ورقى وكلام يتكلم به وأدوية وتدخينات. ولـه حقيقة، ومنه ما يؤثر في القلب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وتأثيره بإذن الله الكوني القدري.

وهو عمل شيطاني وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها ولهذا قرنه الشارع بالشرك حيث يقول النبي ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن .. قال : الإشراك بالله والسحر»[1] الحديث.

(ب) حكم السحر :

السحر كفر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعاطيه، كما قتل جماعة من أكابر الصحابة ﷺ السحرة، وقد تساهل الناس في شأن الساحر والسحر وربما عدوا ذلك فناً من الفنون التي يفتخرون بها ويمنحون أصحابها الجوائز والتشجيع، ويقيمون النوادي والمسابقات للسحرة ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة وتمكين للعابثين بها.

(ج) النشـــــرة :

(١) معناه :

النشرة لغة : الكشف والإزالة.

وشرعا : حل السحر عن المسحور بنوع من العلاج والرقية.

وسميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي يكشف ويزال.

(٢) أنواع النشرة وحكم كل نوع : النشرة نوعان :

(١) حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن وهذا النوع محرم.

(٢) النشرة بالرقية والتعويذات والأدوية والدعوات المباحة فمثل هذا جائز وعليه يحمل قول سعيد بن المسيب.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الصورة الثامنة

الكهانة والعرافة

(أ) تعريف الكهانة والعرافة :

هما ادعاء علم الغيب ومعرفة الأمور الغائبة كالإخبار بما سيقع في الأرض وما سيحصل، وعن مكان الشيء المفقود، وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء. كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة فيلقيها في أذن الكاهن ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة التي سمعت من السماء.

(ب) حكم الكهانة والعرافة :

إن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدّق من يدعي ذلك فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه، والكهانة لا تخلو من الشرك فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه. وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(١).

(ج) خطر الكهنة والسحرة والعرافين على المجتمع :

مما يجب التنبيه عليه والتنبه له : أن السحرة والكهان والعرافين يعبثون بعقائد الناس بحيث يظهرون بمظهر الأطباء فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله، بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا وكذا أو دجاجة، أو يكتبون لهم الطلاسم الشركية والتعاويذ الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم أو يضعونها في صناديقهم أو في بيوتهم، والبعض الآخر يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات وأماكن الأشياء المفقودة بحيث يأتيه الجهال فيسألونه عن الأشياء الضائعة فيخبرهم بها أو يحضرها لهم بواسطة عملائه من الشياطين، وبعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات كدخول النار

(١) حديث صحيح رواه أحمد والحاكم.

من غير أن تؤثر فيه، وضرب نفسه بالسلاح، أو وضـع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه، أو غير ذلك من الشعوذات التي هي في حقيقتها سـحر من عمل الشيطان يصنعه على أيدي هؤلاء للفتنة، أو هي أمور تخيـلية لا حقيقة لها بل هي حيل خفية يتعاطونـها أمام الأنظار كعمل سحرة فرعون بالحبال والعصي.

(د) علاقة السحر والكهانة والعرافة بالشرك :

إن السحر والكهانة والعرافة من الأمور الشيطانيـة المحرمة، تخل بالعقيدة أو تناقضها لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية ولا يمكن للمسلـم أن يجمع بين الإسلام وبين واحدٍ من هذه الأمور، فهي داخلة في الشرك من ناحيتين :

الناحية الاولى :

ما فيها من استـخدام الشياطين والتعلق بهـم والتقرب إليهم بما يحبونه مـن طاعتهم وصرف شيء من العبادة لهم ليقوموا بخدمة الساحر والكـاهن، فالسحر من تعليم الشياطين - قال تعالى: ﴿ ولَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الناحية الثانية :

ما فيها من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال قال تعالى: ﴿ ولَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

* * *

الصورة التاسعة

التنجيـــم

(أ) تعريف التنجيم :

هو الاستدلال بأحوال النجوم على الحوادث الأرضية، فيقولون: من تزوج في نجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا، ومن سافر في نجم كذا حصـل له كذا، ومن ولد في نجم كذا وكذا حصل له كذا من السعود أو النحوس كما يعلن في بعض المجلات الساقطة من الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ.

(ب) حكم المنجمين ومن يأتيهم :

قد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمـين فيسألهم عن مستقبل حياته وما يجري عليـه فيه وعن زواجه وغير ذلك، ومن ادعى عـلم الغيب أو صدق من يدعيـه فهو مشرك كافر، لأنه يدعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه. والنجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء ولا تدل على نحوس ولا سعود ولا موت ولا حياة.

(ج) حكم تعلم منازل الشمس والقمر :

ليس من علم الـتنجيم المحرم تعلم منازل الـشمس والقمر ومعرفة النجـوم للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول قال تعالى: ﴿ وعَلامَاتٍ وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦] وقال تعالى: ﴿ وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ﴾ [الأنعام: ٩٧].

* * *

الصورة العاشرة

تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها بالقرابين والنذور

(أ) معنى الأضرحة والمزارات :

الأضرحة : هي القبور التي يعظمها الجهال.

المزارات : هي ما يزار من القبور والأمكنة والآثار ونحو ذلك بقصد التعبد.

القرابين : جمع قربان: وهو ما يتقرب به من النذور والذبائح والأطعمة.

النذور : جمع نذر : وهو ما يلزم الإنسان به نفسه من أنواع القربات.

(ب) حكم تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها :

إن هذا الفعل محرم غاية التحريم، وهو إشراك بالله تعالى لأنه صرف للعبادة لغير الله، فلا ينبغي التقرب بشيء من العبادة لغيره، وهو غلو في الصالحين وغيرهم مما حرمه الله تعالى لأنه يفضي إلى عبادتهم، وقد نهى النبي ﷺ عن المبالغة في تعظيمه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»(١).

وجعل النبي ﷺ القبر الذي يُعَظَّم ويجتمع عنده الناس بمثابة الوثن المعبود من دون الله تعالى فقال : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعْبَد»(٢).

ولهذا فقد نهى ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور، فقال ﷺ :«لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٣). يحذر ما صنعوا.

وأمر النبي ﷺ بهدم القبور المُشْرِفة (المرتفعة) ، فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي : «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها»(٤).

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه أحمد وغيره.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه مسلم وغيره.

وكذلك نهى ﷺ عن الكتابة على القبور وتجصيصها والبناء عليها، فعن جابر رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه، وأن يبني عليه»[1].

فالحاصل أن الإسلام حرَّم كل هذه الأمور لأنها ذرائع للشرك وأبواب موصلة إليه يجب إغلاقها.

وقد وقع كثير من المسلمين في أكثر البلدان الإسلامية في هذه المخالفة الخطيرة، فعظموا الأضرحة وقبور الصالحين، وطافوا بها كطوافهم بالكعبة، وقبلوها وتمسحوا بها كتقبيلهم للحجر الأسود وصرفوا لها أنواعاً من العبادات التي لا تنبغي إلا لله، كالنذر والذبح وغيره، وقصدوها لجلب النفع، ودفع الضر، وغير ذلك، فوقعوا في الشرك الأكبر حيث أشركوا مع الله آلهة أخرى فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(ج) بعض الآثار الخطيرة لهذه البدع:

(١) شيوع الخزعبلات والخرافات والأفكار الرديئة، وذلك عند كثير من الجهال الذين يفعلون ذلك.

(٢) انتشار الشرك بالله تعالى، فإن هذه الأعمال من الشرك كما سبق.

(٣ أكل أموال الناس بالباطل، وذلك من جهة السدنة والحجبة القائمين على خدمة الأضرحة ونحوهم.

(٤) صد الناس عن سبيل الله تعالى، حتى وصل الأمر بالبعض إلى أن يستغنوا عن الحج إلى بيت الله الحرام، والاكتفاء بالحج إلى الأضرحة والمشاهد.

(٥) مشابهة اليهود والنصارى في شركهم حيث كانت هذه هي بداية شركهم، وهي اتخاذ المساجد على قبور أنبيائهم وصالحيهم.

* * *

---

(١) رواه مسلم وغيره.

الصورة الحادية عشر

زيارة القبور

لقد انتشر بين الناس قبل بعثة الرسول ﷺ دعاء غير الله من الأوثان والأشجار وغيرها، لجلب النفع أو دفع الضر، ولذا فإن الرسول ﷺ قد حرص على سد كل باب يمكن أن يفضي بالناس إلى الإشراك في عبادة الله تعالى ودعائه، لذا فإنه ﷺ قد نهى الناس عن زيارة القبور كي لا تكون ذريعة لدعائهم وصرف العبادة لهم من دون الله حتى خلصت عقائد الناس وتخلصوا من أدران الشرك فأذن لهم في زيارة القبور بعد ذلك.

(أ) حكم زيارة القبور :

إن زيارة القبور مستحبة بدليل قول النبي ﷺ : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة»[١] وكذا فإنه عليه الصلاة والسلام قد زار مقابر موتى المسلمين بالبقيع غير مرة يدعو لهم.

(ب) هل استحباب زيارة القبور خاص بالرجال:

لقد اختلف أهل العلم في جواز زيارة القبور للنساء، والصحيح المنع من زيارتهن للقبور لثبوت النهي لهن عن ذلك، وللمفاسد المترتبة على زيارتهن للقبور من الجزع والتسخط ونحوه بسبب ضعفهن، ومما يدل عى منع النساء من زيارة القبور ما يلي :

(١) حديث : «لعن الله زوارات القبور»[٢].

(٢) ورود النهي للنساء عن اتباع الجنائز بسبب المفاسد المترتبة عليه، فمن باب أولى زيارة القبور.

(٣) تعليل النبي ﷺ لزيارة القبور بأنها «تذكر الموت وتدمع العين وترقق القلب»[٣] ولو فتح هذا الباب للمرأة لأخرجها إلى الندب والنياحة والجزع لما فيها من الضعف.

---

(١) رواه الترمذي في الجنائز.

(٢) رواه أحمد والترمذي.

(٣) رواه أحمد.

(ج) علة مشروعية زيارة القبور :

لقد شرعت زيارة القبور لسببين :

(١) التذكر والاعتبار بحال الموتى حتى يتذكر الزائر الموت ويستعد للقاء الله تعالى.

(٢) السلام على الموتى والاستغفار لهم والدعاء لهم.

فهذه هي الزيارة المشروعة وما عداها فإنها زيارة ممنوعة محرمة.

(د) دعاء زيارة القبور :

علَّم النبي ﷺ أصحابه الدعاء الذي يدعون به عند زيارة القبور فقد كان ﷺ يدعو عند زيارة القبور يقول: «السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[١] وغير ذلك من الأدعية الواردة في الباب.

وأما ما يفعله بعض الناس من الدعاء لأنفسهم عند القبور أو القراءة والصلاة عندها ونحو ذلك فكل ذلك من البدع المحرمة، وأشر من ذلك طلب البركة من أصحاب القبور وطلب جلب النفع ودفع الضر عنهم، فإن ذلك إشراك بالله تعالى ولا سيما مع اعتقاد أن المقبور يعلم الغيب وأنه يملك الضر والنفع فهذا شرك أكبر مخرج من الإسلام.

(هـ) حكم شد الرحال لزيارة القبور :

لا يجوز شرعاً شد الرحال والسفر لأجل زيارة القبور مهما كانت، فإن ذلك حرام إذ لا يجوز شد الرحال إلا إلى المساجد المذكورة في الحديث الشريف : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»[٢].

(و) حكم رفع القبور وتجصيصها وغير ذلك :

وهذا مما انتشر وشاع بين الناس من رفع القبور والبناء عليها وبناء القباب والكتابة عليها والأحاديث الواردة في النهي عن ذلك كثيرة فمنها:

---

(١) مسلم عن عائشة.

(٢) البخاري ومسلم.

(١) حديث عائشة أنه ﷺ قال : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١].

(٢) حديث جندب أنه ﷺ قبل موته بخمس قال : «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»[٢].

(٣) حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال : «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»[٣].

ويتضح من المقارنة بين حال النبي ﷺ وسنته وأصحابه في زيارة القبور، وبين حال الناس اليوم التناقض الشديد بين الحالتين، واستحالة الجمع بينهما، فمن ذلك :

(١) نهيه ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون إليها.

(٢) نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها المشاهد.

(٣) نهيه ﷺ عن إيقاد السرج على القبور، وهؤلاء يوقدون القناديل والمصابيح عليها.

(٤) نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور عيداً، وهؤلاء يتخذونها عيداً ومواسم يجتمعون فيها.

(٥) أمره ﷺ بتسوية القبور وهؤلاء يرفعونها.

(٦) نهيه ﷺ عن الكتابة على القبور وهؤلاء يكتبون عليها.

* * *

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد بسند جيد.

•• الخاتمــــة ••

في نهاية هذا الكتاب، ومن خلال استعراض آيات الربوبية والألوهية في القرآن، نخلص إلى ما يلي:

(١) بطلان قول من زعم أن الربوبية هي الألوهية، وقـد رأينا الكم الهائل من الآيات في تقرير الربوبية ومثلها في تقرير الألوهية، فهما ليسا شيئاً واحداً.

(٢) عناية الـعلماء المتأخـرين من أهل السنة بـتوحيد الألوهيـة لكثرة الانحراف فـيه، بخلاف المتقدمين الذين كثر في عهدهم الانحراف في الأسماء والصفات، فمن هنا كثرت مصنفاتهم في ذلك الباب.

(٣) أن سبب كل بدع القبوريـة هو عدم تفريقهم بين الربوبية والألوهـية، ومما أعان على ذلك اعتناق مذهب الإرجاء، وادعاء أن التوحيد معرفة الله تعالى فقط.

(٤) أن هناك تلازمـاً وارتباطاً وثيقين بين كـل من توحيد الألوهيـة والربوبية فتوحيـد الألوهية متضمن للإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وصرف العبادة لله كما سبق في المقدمة.

وفي الختام أرجو أن أكون قـد وفقت في هذا الكتاب، وفيما أردت مـن ورائه، وأعوذ بالله من الخطأ والزلل، وأسأله قبول الصالح من العمل.

وآخر

دعـــــوانا

أن الحمـــد للـــه رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيـــدنا محـــمـــد وعلـــى آلـــه وصحبه

ومـــن تبعه بإحـــســـان إلـــى يـــوم الـــدين

* * *

* الفهرس *

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الباب الثالث

أقسام التوحيد

الباب الرابع

توحيد الربوبية

الباب الخامس

توحيد الألوهية

الموضوع الصفحة

الباب السادس

توحيد الأسماء والصفات

الباب السابع

ما يناقض التوحيد وينافيه بالكلية

TEL : 06-7444435
FAX : 06-7424094
MOBIL: 050 6330014
P.O.BOX:20288
ALNAKHEEL ROAD
NEAR AL FURQAN MASJID
AJMAN U.A.E
E- mail furqan1@emirates.net.ae
WWW.Furqanalsalafia . com



AL FURQAN BOOKSHOP

هاتف : ٠٦/٧٤٤٤٤٣٥
فاكس : ٠٦/٧٤٢٤٠٩٤
الجوال : ٠٥٠/٦٣٣٠٠١٤
ص.ب. : ٢٠٢٨٨
شارع النخيل
بجانب مسجد الفرقان
عجمان - إ . ع . م
البريد الالكتروني
الموقع على الشبكة

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف والمحقق	السعر
١	منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل	د/ ربيع بن هادي المدخلي	١٣
٢	براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة	عصام بن عبد الله السناني	١٣
٣	النصر العزيز في الرد على الوجيز حوار مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق	د/ ربيع بن هادي المدخلي	١٥
٤	العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم	د/ ربيع بن هادي المدخلي	١٥
٥	جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات	د/ ربيع بن هادي المدخلي	١٣
٦	الحد الفاصل بين الحق والباطل	د/ ربيع بن هادي المدخلي	١٢
٧	الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية	الشيخ أحمد بن يحيى النجمي / ت - حسن بن منصور الدغريري	٧
٨	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي	٣
٩	كشف الستارة عن صلاة الاستخارة وعلاقتها بالعقيدة الصحيحة المختارة	عبد الله بن محمد الحمادي	١٠
١٠	صفة صوم النبي ﷺ	الشيخان / علي الحلبي و سليم الهلالي	١٠
١١	الجوهر الفريد في نهي الأئمة الأربعة عن التقليد	الشيخ فوزي بن عبد الله الأثري	٥
١٢	أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره مزيدة ومنقحة	د/ ربيع بن هادي المدخلي	١٥
١٣	بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف	الشيخ سليم بن عيد الهلالي	١٣
١٤	منهاج أهل الحق والإتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع	الشيخ سليمان بن سحمان ت:عبد السلام بن برجس	١٠
١٥	تنوير الظلمات بكشف مفاسد وشبهات الانتخابات/طبعة جديدة مزيدة منقحة	محمد بن عبد الله الإمام/ قدم له العلامة مقبل الوادعي	١٣
١٦	السراج الوهاج في بيان المنهاج / مجلد	الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني	١٧
١٧	المطلب الأسنى من أسماء الله الحسنى مما ورد في السنة وليس في كتاب الله / مجلد	عصام بن عبد المنعم المري	١٣
١٨	حجج الأسلاف في بيان الفرق بين مسائل الاجتهاد ومسائل الخلاف	الشيخ فوزي بن عبد الله الأثري	٥
١٩	الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأولى- مع مقدمة مهمة في وجوب التزام فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة	الطيب نور الحسن خان ابن محمد صديق خان ت: أبو عبد الباري عبد الحميد بن أحمد العربي الأثري	١٢
٢٠	المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء	د/ ربيع بن هادي المدخلي	١٢
٢١	القول المفيد في حكم الأناشيد- مع فتاوى لعلماء العصر :الألباني،ابن عثيمين..	عصام بن عبد المنعم المري	٦
٢٢	ماذا ينقمون من ابن باز رحمه الله ؟	د/ خالد بن علي بن محمد العنبري	٧
٢٣	القول المبرور في جواز الجماعة الثانية للمعذور	أبو إسحاق الدمياطي تقديم : أبو الحسن مصطفى السليماني	١٢
٢٤	الدر الثمين في وجوب توقير العلماء وطلبة العلم في الدين	الشيخ فوزي بن عبد الله الأثري	٥
٢٥	نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب	الشيخ العلامة / ربيع بن هادي المدخلي	٦
٢٦	الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم تقديم/ العلامة صالح بن فوزان الفوزان- العلامة علي بن محمد بن ناصر الفقيهي	الشيخ العلامة / ربيع بن هادي المدخلي	١٠
٢٧	توضيح مقاصد مصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية	د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس	٥

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف والمحقق	السعر
٢٨	**نقض قول من تبع الفلاسفة** في دعواهم أن الله لا داخل العالم ولا خارجه	د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس	٥
٢٩	**كانوا قليلا** من الليل ما يهجعون	محمد بن سعود العريفي/مراجعة وتقديم العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين	١٠
٣٠	**طريق الوصول** إلى إيضاح الثلاثة الأصول .	الشيخ العلامة / زيد بن محمد بن هادي المدخلي جمع وإعداد / فواز بن علي بن علي المدخلي	١٥
٣١	**رسائل وتوجيهات** في الأفراح الأعراس	جماعة من كبار العلماء	٣
٣٢	**المدخل إلى الصحيح** مع التكميل والتوضيح للمدخل إلى الصحيح ٤/١	الشيخ العلامة / ربيع بن هادي عمير المدخلي	١٣٠
٣٣	**تنوير العينين** بأحكام الأضاحي والعيدين	الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني	٣٣
٣٤	**إتحاف النبيل** بأجوبة أسئلة علوم الحديث والعلل والجرح والتعديل ٢/١	الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني حققه / أبو إسحاق الدمياطي وقدم له العلامة مقبل الوادعي	٤٧
٣٥	**كفاية الحفظة شرح المقدمة الموقظة** في علم مصطلح الحديث / مجلد	شرح الشيخ / سليم بن عيد الهلالي السلفي	٣٠
٣٦	**الجهد المبذول في تنوير العقول** بشرح منظومة وسيلة الحصول ٢/١	الشيخ/ زيد بن محمد بن هادي المدخلي	٤٥
٣٧	**إمداد القاري** بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري ٤/١	الشيخ العلامة/ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري	١٢٠
٣٨	**الأزهار المنثورة** في تبيين أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة	الشيخ/ فوزي بن عبد الله الأثري	١٤
٣٩	**الحكم بغير ما أنزل الله** وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ويليه " هزيمة الفكر التكفيري " و مناقشة هادفة للكتاب ومقالة " المرجئة لا تقبلنا"	د/ خالد بن علي بن محمد العنبري قرأه وقرظه العلامة الألباني وقدم له د/ صالح السدلان	٢٥
٤٠	**أحكام الأضحية** في الكتاب والسنة - قدم له الشيخ / عبد القادر الأرناؤوط	الشيخ / أبو سعيد بلعيد بن أحمد	٦
٤١	**الوصايا السنية** للتائبين إلى السلفية	أبي عبد الله أحمد بن محمد الشحي	٣
٤٢	**صفة غسل النبي ﷺ** وأحكام الأغسال المشروعة- قدم له الشيخ / عبد القادر الأرناؤوط	الشيخ / أبو سعيد بلعيد بن أحمد	١٠
٤٣	**إنفرادات ابن عباس** عن جمهور الصحابة في الأحكام الفقهية "دراسة مقارنة" / مجلد	محمد سميعي سيد عبد الرحمن الرستاقي	٣٠
٤٤	**المورد العذب الزلال** فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال / مجلد	الشيخ / أحمد بن يحيى النجمي قرظه الشيخ صالح الفوزان والشيخ ربيع بن هادي المدخلي	٢٥
٤٥	**مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ** / مجلد	الشيخ العلامة / ربيع بن هادي عمير المدخلي	٢٠
٤٦	**الأضواء الأثرية** في بيان إنكار السلف بعضهم على بعض في المسائل الخلافية الفقهية / دراسة أثرية علمية منهجية في أصول وقواعد وضوابط وآداب الخلاف في الفقه الإسلامي	الشيخ/ فوزي بن عبد الله بن محمد الأثري	١٧
٤٧	**تحفة الأخيار** في تأليف قلوب الأبرار / دراسة أثرية علمية منهجية في أصول وقواعد وضوابط وآداب الخلاف في الفقه الإسلامي	الشيخ/ فوزي بن عبد الله بن محمد الأثري	١٢
٤٨	**نور البصائر والألباب** في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والواجبات	الشيخ العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت/ خالد بن عثمان السبت	٨
٤٩	**الإيضاح والبيان في أخطاء طارق السويدان** ٢/١ - ومعه فتاوى من هيئة كبار العلماء : العلامة ابن باز ، العلامة ابن عثيمين ، العلامة عبد المحسن العباد ، العلامة صالح الفوزان ، والعلامة عبد الله القرعاوي	أحمد بن عبد العزيز بن محمد التويجري	١٣

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف والمحقق	السعر
٥٠	**الـورد المقطوف** في وجوب طاعة ولاة أمر المسلمين بالمعروف	الشيخ/ فوزي بن عبد الله بن محمد الأثري قدم له الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان	١٢
٥١	**بريق المهو في أحكام سجود السهو**	أبو عبد الباري عبد الحميد بن أحمد العربي الجزائري	٥
٥٢	**كتاب في رؤية الله تبارك وتعالى**	**ابن النحاس** – ت / د. محفوظ الرحمن بن زين الله السلفي	٤
٥٣	**تعلـيق التحف** على منظومة طرفة الطرف في مصطلح من سلف	الشيخ أحمد بن سيدي محمد الشنقيطي حققه وهذبه وعلق عليه / أبو العالية المَحَسّي	١٠
٥٤	**التوضيحات الأثرية** على متن الرسالة التدمرية /مجلد	تأليف : أبي العالية المحسي إشراف وتقديم : د/ محمد بن عبد الرحمن الخميّس	٣٥
٥٥	**ست درر** في اصول أهل الأثر	عبد المالك رمضاني	١٢
٥٦	**رسالة الإرشاد** إلى بيان الحق في حكم الجهاد	تأليف : فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي تقريظ : الشيخ صالح بن فوزان الفوزان والشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي	١٢
٥٧	**ذم التحزب والحزبيين**	نصوص من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله	٢
٥٨	**جماعة واحدة في الإسلام** لا جماعات	فتوى المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله .	٢
٥٩	**هذه الجماعات من الاثنتين وسبعين فرقة**	الشـيخ عـبد العزيز بن باز رحمه الله ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، الشيخ صالح الفوزان حفظه الله ، الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله .	٢
٦٠	**الجماعـات الحزبـية خـنجر مسموم** طعنت به الأمة الإسلام	أ. د. الشيخ عبد الله الطيار	٢
٦١	**انتبه لا تكن همجيا رعاعيا ، كأتباع الجماعات الحزبية الهمج الرعاع**	تعليقات الإمام ابن القيم ، والإمام الخطيب رحمهما الله	٢
٦٢	**دعاة على أبواب جهنم**	العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان	٢
٦٣	**شرح نَظْمِ مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**	تأليف الشيخ أحِمد بن مشرف الأحسائي المالكي شرح أبي العالية المحسي	٦
٦٤	(الكتاب الاول عن سلف الجزائر) **مـدارك الـنظر فـي** السياسـة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية	تأليف : عبد المالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري قرأه وقرظه : العلامة محمد ناصر الدين الألباني والعلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر	٣٥
٦٥	**معاملة الحكام** في ضوء الكتاب والسنة	تأليف : الشيخ عبد السلام بن برجس	٢٥
٦٦	**فـتح رب العبيد** في الرد على مختصر الطحاوية وكتاب التوحيد	تأليف : عبد العزيز بن عبد الله الراجحي	١٤
٦٧	**جزء عم والقاعدة البغدادية مع مقرر التوحيد**		٣
٦٨	**حصن المسلم صغير**	سعيد القحطاني	١
٦٩	**حصن المسلم كبير**	سعيد القحطاني	٢
٧٠	**قاعدة جليلة** في التوسل والوسيلة لإبن تيمية	تحقيق : د/ ربيع بن هادي المدخلي	٣٠
٧١	**حكم الغناء عند الأئمة الأربعة**	أبو عبد الرحمن فوزي الأثري	–

٧٢	**العلماء يتولون تفنيد الدعاوى السياسية المنحرفة لعبد الرحمن عبد الخالق**	أبو أحمد السلفي	٧
٧٤	**الأمر بلـزوم الجماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم**	عبد السلام بن برجس العبد الكريم	١٢
٧٥	**اللؤلـؤ الثميـن فـي توضـيح العلاقـة بين الحكام والمحكومين**	أبو يوسف عبد الرحمن السلفي تقريظ أبو عبد الباري عبد الحميد العربي	٥
٧٦	**أحسن المقال في تخريج حديث كل أمر ذي بال**	عبد الرؤوف بن عبد الحنان	٧
٧٧	(الكتاب الثاني عن ملف الجزائر) **فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر**	جمع وتعليق عبد المالك بن أحمد رمضاني الجزائري	٢٠
٧٨	**كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**	شرح الشيخ حمد بن عبد الله الحمد	١٠
٧٩	**المعتقد الصحيح** الواجب على كل مسلم إعتقاده	عبدالسلام بن برجس العبدالكريم	٧
٨٠	**المقالات السلفية** في العقيدة والمنهج والواقع	سليم بن عيد الهلالي	١٣
٨١	**قـرة العيون في تفسير ابن عباس قوله تعالى ومن لم يحكـم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون رواية ودراية ورعاية**	سليم بن عيد الهلالي	١٧ ٥
٨٢	**وقفات مع حياة سماحة الشيخ ابن باز**	عزيز بن فرحان العنزي	٧
٨٣	**منهاج النجاة** في وجوب تسوية الصفوف في الصلاة	**فوزي الأثري**	٧
٨٤	**النصر الحثيث** لبيان أن الأئمة ا لأربعة من أهل الحديث	**فوزي الأثري**	٧
٨٥	**عقـد الفصـوص فـي** تحـريم ذكر الخلاف إذا ثبتت النصوص	**فوزي الأثري**	٧
٨٦	**الدر المنتقى** في تبيين حكم إعفاء اللحى	**فوزي الأثري**	-٧
٨٧	**الزنا** تعريفه تحريمه أضراره أحكامه الوقاية منه	أحمد بن حسن النهاري الريمي	-
٨٨	**صحيح قصص الأنبياء لابن كثير**	سليم الهلالي	٢٧
٨٩	**ذكر الموت** لابن أبي الدنيا	مشهور بن حسن آل سلمان	-
٩٠	**الوابل الصيب** لابن القيم	سليم الهلالي	٣٠
٩١	**حكم الغناء** عند الأئمة الأربعة	الشيخ فوزي الأثري	٣
٩٢	**الشـرح الميسر على الفقهين الأبسط الأكبر المنسوبين لأبي حنيفة**	د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس	١٤
٩٤	**المنظومات الأثرية في العلوم الشرعية**	أبي العالية فخر الدين المحسي	٧
٩٥	**الصراط المستقيم في إثبات حرف القديم**	د/ محمد بن عبدالرحمن الخميس	١٠
٩٦	**الإرسال في مصطلح الحديث**	د/ محفوظ الرحمن رحمه الله	١٠